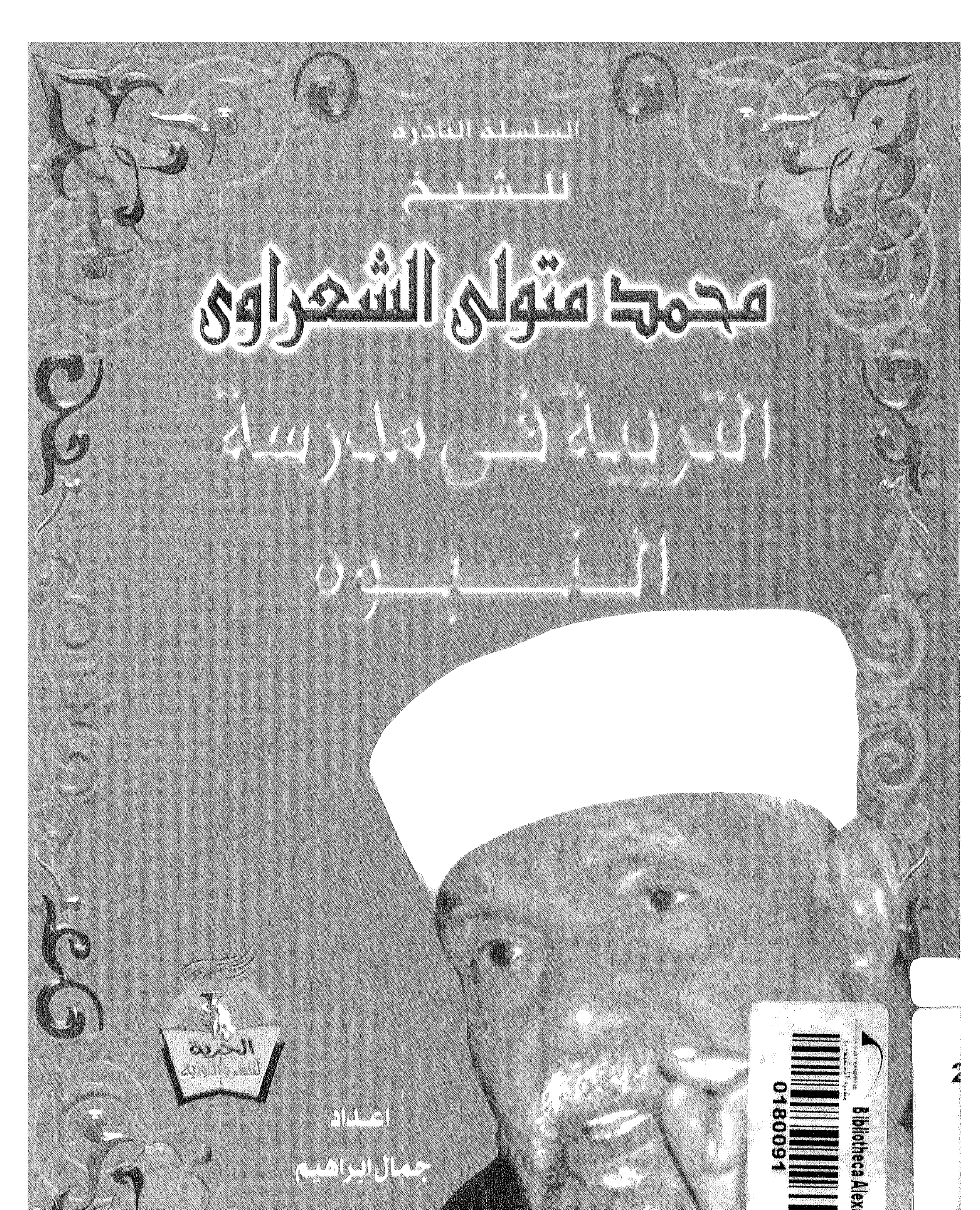
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Bibliotheca Alexandrina
0180091


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التربية في مدرسة النبوة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسم الكتـــاب : **التربية فى مدرسة النبوة**

النـاشـــــر : **الحريــة للنشر والتوزيع**

المركز الرئيسى : ١٦٩ ش أحمد عرابى ـ شبرا الخيمة

تلـيــفـــون : ت : ٢٢٠٥٥٠٠

الطـبــعـــة : **الأولى ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩**

رقـم الإيـداع : ١٦٢٦٣ / ٩٨

الترقيم الدولى : I. S. B. N. ٩٧٧ - ٥٨٣٢ -

إعـــــداد : **جمال إبراهيم**

مكتب الجـمع : **آرمس للكمبيوتر**

القاهرة ت : ٣٥٦٤٤٠٤

الــطـــبــع : **مطبعة النصر**

ش نشاطى ـ شبرا

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« السلسلة النادرة »

لفضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

التربية فى مدرسة النبوة

أعداد: جمال إبراهيم




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، المنزل عليه فى الذكر الحكيم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾.

أحمدك ربى كما علمتنا أن نحمدك...

اخوانى المؤمنين ، وكفى بذلك الوصف تعريفًا تجتمع فيه أقدار الناس فى الحياة ، أحييكم بتحية الإسلام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأسأل رب العرش ـ سبحانه وتعالى ـ أن يهدينا فإنه من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلله الله فلا هاديٍ لهُ وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير من علم عن الله وآخر من أعلم به ... وبعد .

بين يديك أيها القارئ كتاباً من « السلسلة النادرة » للشيخ « محمد متولى الشعراوى » عليه رحمة الله .

توافرت فى هذه السلسلة جميع الموضوعات التى يحتاج إليها كل مسلم ، فاحرص على اقتنائك إياها لتنتفع بها وأهلك ، لما فيها من الموضوعات والأسئلة الهامة التى تشير إلى الطريق الصحيح ...

ونسأل الله أن ينفعنا بما علمنا ....

والله ولى التوفيق

الناشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلام والفكر المعاصر

أحمدك ربى كما علمتنا أن نحمدك، وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد. وبعد:

إخوتى المؤمنين، وكفى بذلك الوصف تعريفا تجتمع فيه أقدار الناس فى الحياة، أحييكم تحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يحييكم ويحييهم عنى، فإنى عاجز أن أرد على تحاياهم بمثلها، فضلا عن خير منها، وحين ترد التحية إلى الله تكون أبلغ التحية، وأشملها وأكرمها.

الموضوع الآن هو موضوع الساعة، وإذا كان لكل موضوع عناصر، فعناصر موضوعنا اليوم: (الإسلام: مفهومه ومقوماته ومصدره وغاياته. والْفِكَرِ: وماهيته ومجالاته وحدود عمله) وكلمة (المعاصر): تعنى اتحاد الفكر فى زمن يجمعها.

فإذ أردنا أن نحلل كل عنصر من هذه العناصر إلى عوامله وجب علينا أن نعرف الإسلام.

الإسلام:

انقياد، والانقياد يقتضى مُسْلِماً، أى: منقادا، ويقتضى مُسْلِماً إليه، أى: منقادا إليه، ويقتضى مُسْلِماً فيه، وهو منهج الحياة وحركتها.

فمن المسلم؟ المسلم على إطلاقه: هو من ألقى زمام حركته فى الحياة إلى غير يعتقد قدرته عنه فى تصريف أمور تلك الحياة، فليس من المعقول أن يسلم قادر زمامه لعاجز، وليس من المعقول أن يسلم حكيم زمامه لأهوج، وليس من المعقول أن يسلم العالم زمامه لجاهل.

إذن، فلابد فى المسلَّم إليه أن يكون فوق المسلِم قوة وقدرة وحكمة، علما وبصرا بالأمور، وكلما كان المسلَّم إليه مطلق المعانى فى ذلك كان المسلِمُ حكيما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في أن يكل زمام تصريف حـركة حياته إليه، ولكن ذلك الإنســان الذى نصفه بأنه مسلم، لمن يسلم زمــام حياته؟ وهو يرى كل أفـراد جنسه، وإن كانت لهم سـيادة على سائر ما فى الكون من أجناس، فهم متفاوتـون قوة وضعفا، وقدرة وعجزا، وعلما وجهلا، وحكمة وحمـقا، فلمن من هؤلاء يسلم الإنسان زمام نفسه؟ أإلى إنسان مثله يقدر مـرة ويعجز أخرى؟ يعلم شيئا ويجهل أشـياء؟ تواتيه الحكمة فى بعض تصرفاته ويواتيه الحـمق فى أكثر تصرفاته؟ وما ميـزة ذلك الإنسان عن أخيه الإنسان لأسلم إليه القياد؟

إذن، فوجب على من يسلم قياده إلى مسلم إليه أن يتأكد ويتيقن أن من أسلم إليه زمــام حركة حياته أقـدر منه وأعلم وأحكم، لا تغيب عنه غائبـة، ولا تخفى عليه خـافيـة، ولا يأتى الواقع فى الحيـاة بما لم يكن عنده ساعـة قنن، وذلك أمر مفقود فى أفراد البشر جميعـا، وإلا فلو أسلمنا زمامنا إلى مفكر فينا نعتبر له فوقا فى الفكر، هذا المفكر قبل أن يصل إلى مرتبة إيجـاد الأفكار التى يسلم فيها إليه، من تولى قياده؟ .

إذن، لابد أن يتولى قياده شئ قبله، وشئ أحزم منه، وشئ أحكم منه، وشئ أعلى منه، ثم المسلم إليه الزمـام: يجب أن يتصف بصفـات مع القدرة ومع العلم ومع الفكر ومع الاستيعاب. يجب أن يتصف بأنه ليس له هوى فيما يقنن ويشرع، وذلك أمر مفقود فى البشر مجتمعين.

إذن، لابد أن يكون المسلـم إليـه القـيـاد لا هوى له فى تشـريع أى أمـر من الأمور، أطاع الناس ذلك المسلم إلـيه أوعصوه، فـإنه سيظل بكل صفـات الكمال المطلق؛ لأنه إن انتفع بشئ مما يقنن فسيدخل الهوى فـيما يشرع، وذلك أمر مفقود فى البشر جميعا.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنسان وباقى الأجناس

الإنسان بكل أفراده فى الوجود له سيادة معترف بها فى الواقع، وله سيادة معترف بها ممن خلق الإنسان وخلق واقعه، فكل أشياء الوجود مسخرة له، والأجناس التى دونه فى خدمته لا بإراداتها ولا باختيارها ولا بقدرته هو ولا بحكمته هو، فإن الحيوانات تصب منافعها فى ذلك الإنسان، والحيوانات هى الجنس الأقرب إلى الإنسان؛ لأنه لا ميزة لإنسان عنها إلا بالفكر، ثم هو يشترك معها فى كل خواصها.

والجنس الذى هو أدنى من الحيوان: النبات، أيضا فى خدمة الإنسان، الجماد أيضا فى خدمة الإنسان، فإذا ما استقرأنا الوجود كله أجناسا وجدنا أن كل جنس من هذه الأجناس يصب فى خدمة الجنس الأعلى منه، ثم تؤول كلها أن تصب فى خدمة الإنسان، فالجماد فى خدمة النبات والحيوان والإنسان، والنبات فى خدمة الحيوان والإنسان، والحيوان فى خدمة الإنسان.

يجب أن يقف العقل هنا وقفة، هذه الوقفة تقول له: أكانت تلك الأجناس فى خدمتك بقوة منك؟ قد خدمتك قبل أن تكون لك قوة، أهذه الأجناس قد سخرت لك بعقلك؟ قد خدمتك قبل أن يكون لك عقل، أهذه الأجناس قد خدمتك بسيطرتك عليها؟ هناك كثير من الأشياء فى الكون لا سيطرة لك عليها أبدا. إذن فوجب أن يلتفت عقلك لفتة فكرية لتبحث عن جنس أعلى منك ترتبط به أنت ذلك الارتباط وإلا كنت كائنا سيدا على هذه الأجناس، وهذه الأجناس لها مهمة تؤديها فى الكون، وأنت بسيادتك لا مهمة لك فى ذلك الكون، يجب أن تخلق لنفسك مهمة حتى لا تكون أتفه من الجماد، ولا أتفه من النبات، ولا أتفه من الحيوان، إن لم تبحث لك عن قوة ترتبط بها وتكون فى خدمة تكاليفها وأمرها، كانت سيادتك معنى لا وجود له؛ لأن ارتقاء الشئ إنما هو بمهمته، فهل خلقت لتنعم بسيادتك على الأجناس، ثم تترك بعد ذلك حرا لا تتصل بقوة توجهك وتصنع لك الخير؟.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقفة عقلية

إذن، تلك وقفة عقلية يجب أن يقفها العقل، ولكن العقل: أيستطيع أن يدرك من هذه القوة اسمها؟ أيستطيع أن يدرك من هذه القوة صفاتها؟ أيستطيع أن يدرك بعقله متطلبات هذه القوة؟ أيستطيع بعقله أن يعرف ما ينتظره حين يطيع هذه القوة؟ وما الذى ينتظره حين يخالفها؟.

لا شئ من ذلك من عمل العقل أبدا، وإنما عمل العقل أن ينتهى إلى تعقل قوة أعلى منه سخرت له ما هو أقوى منه، هذه القوة يكفى منها أن تتعقلها أيها الإنسان، أما أن تتصورها على أى كيفية هى، فذلك ليس من مهمة العقل.

إذن، فالقوة هى التى تعبر عن نفسها اسماً لها، وصفات لها، ومهمة ترتبط أنت بواسطتها، ونهاية تصير إليها، وجزاء يترتب على امتثالك أو على مخالفتك، كل ذلك ليس من عمل العقل؛ ولذلك كان هذا هو الرد المنطقى، العقل الذى يرد على كل ألوهية مدعاة لشخص أو قمر أو شجر أو حجر أو أى شئ من ذلك؛ لأن الرد الوحيد تقول للذين يعبدون الشمس: وما المنهج الذى قالت لكم الشمس اعبدونى به؟ فلن تجد جوابا، والذى يطيعها ماذا أعدت له الشمس؟ لا تجد جوابا، والذى يعصيها، ماذا أعدت له الشمس؟ لا تجد جوابا.

إله بغير منهج يعبد به، وإله بغير غاية تصير إليه، لا يصح أن يكون إلها أبدا، إذن لابد من التبليغ عن ذلك الإله.

هذا التبليغ لا يقوم به أى فرد عادى، وإنما يقوم به إنسان مهيأ من البشر، يتلقى من ملك مهيأ من الملائكة، فلا هو ملك مطلق، ولكن ملك مصطفى، ولا هو إنسان مطلق، ولكن إنسان مصطفى، فالمصطفى من الملائكة يعطى للمصطفى من البشر، وبذلك تتسلسل سلسلة الالتقاء من القوة المطلقة إلى القوة النسبية.

ونحن فى حياتنا نباشر هذه المهمات مباشرة واقعية موضوعية، فمثلا إذا أراد الإنسان منا أن يصنع فى بيته شيئا يحفظ به أصل الضوء ولا يعطى له قوة إشعاع الضوء - حين ينام ليلا - (مايسمونه بالوناسة أو السهارى)، ماذا يصنع؟ أيأخذ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للوناسة أو السهارى من التيار العام من البيت؟ لا، بل لابد أن يأتى المهندس الفنى ليقول إنك لو أخذت لهذه القوة الضعيفة من الـتيار القوى لتفتتت ولم تتحمل قوة التيـار. إذن، ما هو الحل؟ إذن، الحل لابد أن يصنع آلة تأخذ من الأقـوى لتعطى الأضعف (التى يسمـونها ترانسفورمر). إذن، فـلا يمكن لإنسان أن يتلقى عن ربه مباشرة أبدا. إذن، فلابد من تلك الوسائط: مصطفى من البشر يتلقى من مصطفى من الملائكة، والمصطفى من الملائكة يتلقى عن الله: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾(١).

ولو أن الفلاسـفة والمفكرين اقـتنعوا بتـعقل القوة لما وجـد إشكال فكرى فى الحياة، ولكن ما أفسد للفلاسفة منهـجهم أنهم انتقلوا من منطقة التعقل إلى منطقة التصور، وفى ذلك كان الفـساد: أرادوا أن يتصوروا القوة فعجـزوا، فتخبطوا من عقل أول إلى عقل ثان إلى نفس كليـة، تصور هذه القوة لا يمكن؛ لأن تصورات البشر لابد أن تخـضع لقانون مرائيهم فى الحـياة، فإذا تصوروا هذه القـوة بمقياس تصور البصر، فلا بد أن ينزلوا بهذه القوة المطلقة إلى عالم متصور فى عالمهم.



(١) سورة الشورى، من الآية : ٥١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعقل والتصور

إذن، الذى أتعبنا وأتعبهم هو الوقوف فى منطقة التصور، ولو أنهم اقتنعوا بالتعقل وتركوا للقوة أن تعلن عن نفسها لكفينا ذلك النزاع الفكرى الذى لم يأت بطائل طول مدارس الحياة الفلسفية، فلم تتفق فيه مدرسة مع مدرسة، بل لم يتفق فيه تلاميذ مدرسة واحدة.

وقد ضربت سابقا مثلا ليوضح ذلك، فقلت: هبنا فى حجرة كهذه الحجرة مغلقة، ثم سمعنا جرسا، بهذا الجرس نتعقل جميعا أن طارقا بالباب، ذلك هو منطق التعقل، فإذا ما أردنا أن نتصور الطارق المحجوب عنا بالباب اختلفنا، فمن قائل: إنه الوزير، وممّن قائل: إنه وكيله، ومن قائل: إنه مدير الجامعة، ومن قائل: إنه العميد، ومن قائل: إنه طويل، ومن قائل: إنه قصير، ومن قائل: إنه رجل، ومن قائل: إنه امرأة.. إلخ.

إذن، فقد اختلفنا فى منطقة التصور، ولو اكتفينا بالتعقل لاتحدنا، فما الذى ينبئ عن التصور؟ هو صاحب الشأن نفسه، يقول: اسمى كذا، ومطلوبى كذا، فقد حسم الأمر. إذن، فالتصور للقوة المطلقة وراء ذلك الكون، وهى التى خلقته بقدرتها وأمدته بقيوميتها أمر موكول إليها، ولذلك كانت أسماؤه ـ تعالى ـ توقيفية، ليس للعقل فيها مجال أبدا، وإذا وصفته بشئ فيه مدح وفيه قوة ولكن لم يبلغنا عنه، فلا يصح أن نصفه بها أبدا.

والفلاسفة لم يكفهم دليل من عملهم هم ـ فالكون المنظور المحس كان حقلا لعقول فلسفية، فقصروا عملهم وتجاربهم فى الكون المحس المهندس هندسة رائعة مبنية على نظام دقيق ـ فبحثوا فيما وراء المادة.

ما الذى قال لعقولهم إن وراء المادة شيئا يجب أن يبحث عنه، لابد أن فطرة نفسية وشيئا حازما قد أقنعهم بوجود شئ وراء المادة، وإلا فما الذى جعلهم يضحون بشئ من حياتهم ليبحثوا فيما وراء المادة؟ وما وراء المادة أمور غير

منظورة، يكفينا منهم أنهـم وجدوا أنفسهم مضـطرين أن يبحثوا فـيما وراء المادة، سواء نجـحوا فى معرفـة ذلك أو لم ينجحوا، فـالدليل على وجود شئ وراء هذه المادة إنما هو الفطرة والعقل.

والذى وضع الأدلة على وجود الله نـقول له: حينما أقـبلت على وضع دليل على وجود الله مـا الذى حملك على أن تتعب عـقلك وفكرك لتضع ذلك الدليل على وجـود الله؟ لا شك أنك لم تجـهـد عـقلك ولم تجـهـد فكرك إلا لثـقـتك ووجدانك وفطرتك: أن هناك إلها، فأردت أن تجهد عقلك لتضع ذلك الدليل على وجود الله.

إذن، فالدليل على وجود الله هو طلب الدليل علـى وجود الإله، سواء وفقنا فى إيجاد الدليل أو لم نوفق، وإذا كان الإنسان بهذه السيادة وهو يقدر مرة ويعجز أخرى، ويعرف مرة ويجـهل أخرى، ويقهر على أمور ويخـتار فى أمور، فوجب عليه أن يبحث عن قـوة مطلقة تقهره على ما لم يختـر، ولابد أن يبحث عن قوة مطلقة تقدر على ما يعجز عنه هو وأفراد جنسه.

إذن، يجب أن يرهف الإنسان سمعه ليتلقى البلاغ عن هذه القوة. إذن فمجئ الرسل كان أمرا طبيـعيا، كان يجب أن يستدعى من البشـر لا أن يهبط إلى البشر فينكرونه، إنسـان يقول لك اللغز الذى فى حـياتك، إنك تقدر وتعجـز، وتعرف وتجهل، وتقهـر وتختار، هذا اللغز لابـد أن يحل، فإذا ما جاء لك إنسـان ليقول لك: أنا سأحل لك اللغز الذى تفكر فيـه، أتنصرف عمن يريد أن يحل لك اللغز أم تقبل عليه؟ إذًا فكأن الإقبال على منهـج الرسل يجب أن يكون طبيعيا، ولذلك استعـجله القوم الذين ليس فى رءوسهم أشياء تناقض المـنهج فآمنوا به، أما الذين يعلمون أنهم سيضارون بذلك المنهج لأنهم عاشوا آلهة وعاشوا سادة وعاشوا ولهم جاه وذلك المنهج سـيسلبـهم إياه، فهم الذين وقفـوا أمام ذلك المنهج، أمـا القوم الذين لا مطامع لهم، فقد اسـتقبلوا الرسل استقـبالا إيمانيا كما يجب أن يسـتقبله جميع البشر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذن كوننا نعلل ذلك تعليلات عقلية، فأيضا توجد فى النفس البشرية أمور نفسية، لو لم يؤمن هو بإله: كيف كان يتلقاها؟ كيف كان يقابلها؟ تأتى الحياة بظروف فوق أسباب الإنسان، وظروف تعجز أسبابه عن دفعها، بمصائب وكوارث وأهوال، ماذا يكون موقفه؟ لو لم يستند بإيمانه إلى أن وراءه قوة هى التى خلقت الأسباب وتستطيع أن تجعل له مخرجا بدون هذه الأسباب، فلا تجعل لليأس من الحياة سبيلا إلى قلبك، وكل ما يصيبك فيه خير لك، إذن، ستستقبل الحياة بكل طاقاتك وبكل إمكانياتك وبكل نفس لا يسرها ما آتاها الله ولا يحزنها ما ذهب به الله من يدها ﴿ **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾[1] إنسان أسلم نفسه لمن يعلم أنه إنما يجرى الأشياء للخير عليه.

❀❀❀

(١) سورة الحديد، من الآية : ٢٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرصيد الإيمانى

ضــــرورة للإنســــان

فالذى بلا رصيد إيمانى، كـيف يستقبل هموم الحيـاة؟ والهموم والمصائب فى الحياة تتـرتب ترتبا منطقيا، هذا الترتب المنطـقى أوصله الإمام على ـ رضوان الله عليه ـ إلى منطقة ليست محسة فتدفع، وليست ملموسة فيتقى منها، وإنما هى شئ يتخلل على الإنسان ذات نفسه. بحـيث لا يستطيع أن يراه ليدفعه، وذلك هو هم الإنسان فى هذه الحياة.

كل عدو من الأعداء من الممكن أن توجد قوة لتدفع ذلك العدو، إلا باستثناء واحد هو ذلك الهم، فـالذى لا إيمان له كيف يواجه همومـه التى لا يستطيع دفع أسبابها لو لم يكن مؤمنا بالله؟!.

يقول الإمـام على فى سلسلة موجودات ذلك الـكون ليصل إلى أن الإيمان لو لم يكن له غاية وفائدة إلا أن يطرد الهم وأسبابه عن النفس ثقة من النفس بأن الله الذى خلقه حكيم، فـلا يجرى عليه إلا ما فـيه الخير له لكفى. لما سـئل عن أشد جنود الله (ماذا قال الإمام على)؟ قـال الإمام على فى الجواب عن ذلك قولا يدل على أنه استـقرأ مـا فى الكون من أجناس، ثم رتبهـا بفكره وعقله ترتيـبا يعطى القوى ثم يعطى الأقوى من القوى، ثم يجعل الأقوى قويا بالنسبة لأقوى منه يأتى بعده إلى أن يسلسلها إلى مصـاعب المتاعب المعنوية فى الهم. سئل عن أشد جنود الله، فقال: « أشـد جنود الله عشرة: الجبال الرواسى، والحـديد يقطع الجبال أى فهـو أقوى. والنار تذيب الحـديد، أى فهى أقـوى، والماء يطفئ النار، أى: فـهو أقوى،والسحـاب يحمل الماء، أى: فهوأقوى. والريح يقطع السحـاب، أى: فهو أقوى. وابن آدم يغلب الـريح فيتـستر بالثـوب أو الشئ ويمضى لحاجـته. والسكر يغلب ابن آدم ـ يفـقده توازنه ـ والنوم يغلـب السكر. والهم يغلب النوم. فـأشد جنود الله الهم» لو لم يكن فى الإيمان إلا أنه يدفع عن الإنسان هموم الحياة لكفى بذلك فائدة. والإنسان بـكل نعمه وبكل إمكانياته وبكل قـدراته، إن كان فى نعيم

فهو يهتم لأمرين: إما أن يفارق هو هذا النعيم، وإما أن يفارقه ذلك النعيم. أنا لا آقول الذين ليسوا فى نعيم، أنا أقول من هم فى نعيم يخافون شيئا واحدا: أن يذهب عنهم النعيم، أو أن يذهبوا هم عن النعيم.

إذن، فميزان الإيمان إنما جاء ليصون الإنسان حتى من هذه، لماذا؟ لأن الإنسان بعاداته إذا كان طفلا صغيرا لم يزل فى حضانة أبويه ليتعهداه ويربياه لا يحمل هما لأسباب الحياة أبدا، فتقول له: إذا كان من له أب لا يحمل هم الحياة، فمن له رب يستحى على عرضه، وأيضا، فالإيمان بالله ضرورة ارتضائية. ومعنى الضرورة الارتضائية أنك إذا نظرت إلى الجنس الذى بعدك مباشرة، أى الذى لا تتميز عنه إلا بالفكر - وهو الحيوان - وجدت للحيوان غرائز، هذه الغرائز تحكم تصرفاته لاستبقاء الحياة، ولذلك تجده لا يعطى هذه الغرائز إلا بما تؤدى به مهمتها، ولكن الناس دائما بسيادتهم يظلمون الحياة، فيقولون عن شهواتهم حين تنطلق: إنها شهوات بهيمية، ويجب أن ننصف الحيوان من هذه التهمة. هل فلسف الحيوان شهوته؟ لو أن ذكرا جاء إلى أنثى فوجدها حاملا، أيقترب منها؟ لا يقترب، أتمكنه هى منها؟ إذن فعمليتها الجنسية عملية لحفظ النوع فقط، غريزة وقفت عند حدها، ولكن الإنسان تفنن فى هذه الغريزة، تفنن تفننا واسعا مطلقا، حتى أداه ذلك التفنن - والعياذ بالله - إلى الشذوذ فى المأتى. فكيف نقول عنها إنها أشياء بهيمية؟! يجب أن نقول عنها إنها أشياء إنسانية (ما نمسحهاش فى الحيوان أبدا) كذلك الحيوان يجوع كما نجوع، ويأكل كما نأكل، هات لى حيوانا أعطيته ما يأكل ثم كف هو عن الأكل واحتَلْ عليه بشتى الطرق وتحكم فيه بأقسى الوسائل ليأكل شيئا زائدا عما أكله، لا يمكن، ولكن الإنسان تفنن فى هذه، تقول له: (والله لتأكل دى، فيأكلها، والله لتأخذ دى، فيأخذها) وفى غير الطعام يجد أشياء كثيرة فى الأرض من نباتات وحبوب، يجد ألوانا من الطعام فيأكل ما يصلحه ولا يأكل نوعا آخر، ولكن الإنسان يقول: (أما آكل ده أشوفه أيه شكله) إذًا مَنِ المنطقى فى غرائزه؟ إنه الإنسان، ورغم أنه يجوع أشغل نفسه بهم الرزق لنفسه، بهم ماذا يأكل فى العشاء وماذا يأكل غدا، أشغل نفسه لا بهم رزق نفسه، بل بهم رزق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولاده، بل بهمٍّ رزق أحفاده!! الإنسان يصنع ذلك، والحيوان أيضا يلد ويؤخذ وليده ويذبح على مرأى منه، أيشعر الحيوان بألم الثكل؟ أيبكى؟ أيمتنع عن الطعام والشراب؟ لكن الإنسان يأتى منه ذلك. إذا وجد حيوان حيوانا آخر كان حظه فى أن يذهب إلى ذى جاه فيعلفه أحسن العلف، ويكسوه أحسن السروج، ويستعمله فى الأغراض الشريفة العالية، وهو يستعمل فى أدنى الأشياء، أيدخل عليه حقد فى قلبه وغل وحسد؟لا يدخل عليه شئ، لكن الإنسان يجد شرا فى ذلك، إذن فمن المحتاج إلى من يعلى غرائزه؟ ليس الحيوان وإنما هو الإنسان، إذن فأمر ضرورى وجود الإيمان نفسيا وارتضائيا، وجود الإيمان هو الذى ينظم هذه الغرائز ويعليها ولا يقتلعها؛ لأنه لو أراد الإيمان أن يقتل الغرائز، لماذا خلقها الله؟ إذًا هى لها مهمة، والإسلام لا يصنع من المؤمن مؤمنا جامد القلب، بحيث ينطبع على شئ واحد، الشئ الواحد الذى يطبعه عليه هو أن يسلم قياده لمنهج خالقه.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إعلاء الغريزة فى الإسلام

وبعد ذلك لايجمده؛ لأنه يريده ذا غرائز، ولكنه يعلى الغرائز حـ
الغيـر، يعلى غرائز حب الامـتلاك، حتى لا يصل إلى السطوة والسـ
الغرائز الجنسية بالزواج، حتى يكون المجتـمع نظيفا شريفا، يعلى الغر
القوت؛ لكيـلا يكون نهمـا ولا يكون شرها، يعلى الغرائـز فى حب
كيلا يجعله تجسسا وتتبـعا لعورات الناس. إذن فكل غريزة من غرائز
الإسلام ليعدلها، لا يجمدها ولكن يستبـقيها؛ لأن لها مهمة، والإنسـ
إلى هذه المسألة يعـتقد أن قوة أعلى منه هى التى نظمت له هذه الأشـ
التى هى أعلى منه لا يسـتنكف الإنسان أن يخـضع لها. لماذا؟ لأنـها
أعلى منه، وهى التى خلقـتنى بقـدرتها، وهى التى أمـدتنى بقوة منـ
استقـبل الإنسان منها أمرا فـإن ذلك الأمر لا يعنى غضاضة، يـقول لـ
مرة، كن رحـيما مـرة، إذن فهو لا يطبع قـوته على شدة مطلقة ولا
مطلقة، بل هـو صالح أن يكون شديدا أو صـالح أن يكون رحيـما؛
على الشدة هناك مواقف تتطلب الرحمـة، لو طبع على العزة هناك مو
الذلة، لو طبع على لون واحد لامتنع عليه أن يأتى اللون الآخر، واللو
مهمة فى الحياة.

إذن، فما الذى يصـنعه؟ إنه يصنع مؤمنا بالله، يوجه هذه القـدرة
إلى حيث يريدها الله من شئ إلى ضده، كـيف ينتقل الإنسان من شئ
ونقول له: لأن هذا الشئ له مهمة وضده له مهمة.

يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِ**
ففيهم عنصر يمكنهم أن يكونوا أعـزاء وعنصر آخر يمكنهم أن يكونوا أ
يكونون أعـزاء، ومـتى يكونون أذلاء، ذلك توجـيـه الحق لهم: كـونـ

(١) سورة المائدة، من الآية : ٥٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إخوانكم المؤمنين وأعـزة على الكافرين: ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾[1] إذًا، فلم يطبع الإسلام المؤمن به علـى طبع واحد؛ لأن لكل طبع مهمـة. إذن، فلابد من وجود قوة قاهرة عليمة حكيمة تـقرر هذه الأشياء، وإذا كانت المبررات العقلية والاجتمـاعية والنفسية تتـطلب وجود قوة أعلى منها، فهناك شئ قـد يكون غريّبا على أسماعكم، ولكن أتعجب كيف فات على المستدلين على الوجود الإلهى هذا الدليل، وهو دليل يعم كل الأجناس وجميع العقول وجميع المستويات، ودليل من لغة الناس أيضا، لا يمكن دفعه ولا رده؟!

فالإيمان بالله ضرورة لغوية، اللغه ظاهرة اجتـماعية مطلوبة للإنسان، الإنسان لأنه فى مجتمع مدنى بطبعه لازم له لغـة يتفاهم بها، لو كان وحده لما احتاج إلى لغة، كل ما يخطر عـلى باله يفعله، إنما مع غيره فلابد أن يـنقل أفكاره إلى غيره ويستمع إلى أفكار الآخرين، إذًا لابد من وجود لغة، هذه اللغة ما مهمتها؟ نتفاهم بها، وهل نسـتطيع أن نتفـاهم باللغة إلا إذا كان المتكلـم والمخاطب متـفقين على معنى تدل عليه الألفاظ؟ إذن لابد من ذلك، فإن كان المتكلم يعلم ألفاظا والسامع المخاطب لا يعلم هذه الألفاظ، فلن تؤتى المخاطبة نتـيجة، إذا كانا لا يعلمان فلن يستطيع المتكلـم أن يتكلم، إذًا فاللغة ضـرورة اجتماعـية، واللغة كـما نعلم بنت المحاكاة، ما تسمعه الأذن ينطق به اللسان، فإذا جئت بإنسان إنجليزى فى بيئة عربية وهو طفل رضيع يصبح يتكلم العـربية، إذن فاللغة ليست سلالة، ليـست سليقة، اللغة المطلقة سليقة فى الإنسان إنما بذاتها يتـعلم أى لغة ما دامت اللغة ألفاظا يعبر بهـا كل قوم عن أغـراضهم، فـلابد من أن يتفق المتكلم والمخـاطب على معـانى الألفاظ التى تدور بينهما، فإذا لم تفهم معـانى الألفاظ تصبح اللغة لا مهمة لها، وأن تحدث اللغـة فى ذاتها، يعنى قـد يأتى إنسان فيـتكلم بالعربيـة لإنسان يتكلم العربيـة: ليس معنى أنـه يتكلم بالعربيـة أن كل لفظ يستطيع أن يقـوله وكل لفظ يستطيـع السامع أن يفهـمه، لا بل لابد من مـعرفة المعنى قـبل النطق باللفظ أولا وبعد سمـاعه ثانيا، فقد يأتـى لفظ هو عربى ولكنه لايفهم شيئـا، وأنتم تعلمون

(١) سورة الفتح، من الآية : ٢٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قديما ما تقصه علينا كتب الأدب من أن هناك شخصا اسمه أبو علقمة النحوى، (أبو علقمة النحوى) متقعر فى اللغة، يتكلم بالألفاظ الغريبة - فمن الذى رباه حتى ينزل إلى مستويات الناس فى التفاهم؟ رباه خادم له، أتعبه تقعر (أبو علقمة) وكان لا يفهم عنه كثيرا من الألفاظ، فماذا كان منه؟. كان منه أن أبا علقمة استيقظ ليلة ثم نادى الغلام فقال: يا «غلام» أما هذه فقد فهمها الغلام، ثم قال له: «أصقعت العتاريف؟» مسألة لم يفهمها الخادم، ولكنه أراد أن يلقن أبا علقمة درسا يمنعه من هذا التقعر، ولا سيما بالنسبة إلى خادم لا يعرف شيئا، فلما قال له: «أصقعت العتاريف»؟ قال له: «زقفيلم»، فتعجب (أبو علقمة)، لأول مرة يتعجب أبو علقمة من لفظ لغوى!! فقال له: يا غلام، وما «زقفيلم» فسر الغلام لأنه أعجز أبا علقمة، فقال له: «ما أصقعت العتاريف»؟، فقال له: «أنا أردت يا بنى: أصاحت الديكة؟». قال: «وأنا أردت: لم تصح».

هذا كان ابتلاء أدبيا لأبى علقمة، ولكن شخصا آخر أراد أن يبتليه ابتلاء أهم من ذلك فى عافيته وهى أعز شئ لديه، وفى صحته، فقد دخل على طبيب يقال له «أعين»، وهو يشتكى علة، فلما ذهب إلى الطبيب لم ينس تقعره، والطبيب محدود الثقافة اللغوية، فقال له: «مابك؟» قال: «قد أكلت من لحوم هذه الجوازئ، فقسأت منها قسأة أصابنى منها وجع، من الوابلة إلى دأية العنق، ولم يزل ينما حتى حالط الخلب وألمت منه الشراسيف» وقف الطبيب متعجبا، فقال له: أعد، فأعاد، فماذا فعل الطبيب؟، عاياه، (عاياه يعنى أيه؟، جابله ألفاظ لا مدلولات لها فى اللغة علشان يدوخ فيها أبو علقمة، لأنه لو جاب لفظ مستعمل فى اللغة يمكن أبو علقمة يعرفه) فقال: «ده مش عايز إلا اختراع ألفاظ مالهاش مدلول» قال له: أمسك القلم واكتب الوصفة (الروشتة)، «خذ حرقفا وشرقفا وزهرقه ورقرقه واغسله بماء روس واشربه بماء الماء» قال أبو علقمة: «أعد على، فوالله ما فهمت شيئا»، قال: «لعن الله أقلنا إفهاما لصاحبه».

إذن، فاللغة بهذه المثابة - حتى عندما نستوعب كل ألفاظ اللغة - إذا جاء

للشـخص لفظ لم يسبق أن عـرف معـناه وقف، مادامت اللغـة هكذا، يجب أن نسـتنبط أولا: هل توجد المعـانى أولا،ثم توضع لها الألفـاظ؟ أم توجد الألـفاظ أولا، ثم تخترع لها المعانى؟ قبل أن يوضع اللفظ لابد أن يكون المعنى متضحا فى الذهن، حين لا يوجـد معنى متضح فى الـذهن لا تجد له فى اللغـة لفظا، هذه قضية، إذًا ما دام اللفظ يسبقه المعنى، فإذا جدت معان لم تكن موجودة من قبل، تجـتمع المجـامع اللغوية لكى تقـول: نضع لذلك المعنى أى شئ؟ أى لفظ؟ مـاذا نسمى هذا؟ المذياع ـ المستقبل؛ لأنه معنى لم يكن مـوجودا، فالمعانى العدمية التى لا وجود لها، لا وجود لألفـاظ تدل عليها، فإن وضعوا لفظا لمعـنى عدمى نبهوا عليه، وقـالوا: إن هذا اللفظ وضع للمعـاياة ولشئ خرافى،فيكـون معناه أنه شئ خرافى، كما قالوا: «الغول»، فإذا كـان الأمر كذلك نقول: إذا كان مدلول «الله» أمرا عـدميـا لا وجود له فـمن أين دخل لفظ (الله) على لغـة الناس؟ أو من أين دخل اللفظ المقابل للفظ (الله) فى سائر لغات الناس؟، مادامت الأمور العدمية لا تصل إلى مـرتبة أن توجـد لها ألفـاظ، ومادامت الألفـاظ لا تسبق المعـانى، إذن فوجـود تلك الألفاظ فى لغات الناس يدل قطعـا على أن معانيـها سبـقت وجود اللغة، وأن المعنى الإيمانى فى وجود الله أمـر سابق على أن يكون لنا لغة، ومادام ذلك اللفظ قد وجد فى لغات الناس، يدل على أن المعنى كان موجودا،إذن، هناك انسجام فى أسر الألفاظ حتى المتعارضة، كيف؟ كلمة «الكفر» نفسها دليل الإيمان، الكلمة نفسها، لفظ (الكفر) دليل على وجود الإيمان؛ لأن الكفر ما معناه؟ (الكفر) فى أصل معناه: (السـتـر)، فما هو المستور بالكفـر؟ وجود هذا اللفظ يدل على أن شيئا وجد فستر، فالستر طارئ على شئ موجود، إذن فمعنى (كفروا) أى: ستروا شيئـا كان موجودا، فالكـفر طارئ على الإيمان، ولذلك نجد جوابا حـينما نسأل: «لماذا يتعجب الله فى قوله: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ** ﴾[1] ؟ يعنى: قولوا لنا على الطريقة الغريبة التى سولت لكم أن تـكفروا بالله، هذه مسألة عجيبـة، كيف كفرتم بالله؟ إذًا، الألفاظ الـلغوية تدل على أن مـعنى لفظ (الله) ودلالته على واجـب الوجود

(١) سورة البقرة، من الآية : ٢٨ .

سابق على وجـود هذه اللغة، إذن فـذلك يصحح أفـهام الناس الذين بحـثوا فى مقـارنات الأديان، وهو أن الأصل فى الناس أنهم غير مـؤمنين بالله، بل عددوا، ثم يرتقون إلى التوحـيد، نقول لهم: الأصل أنهم حينمـا خلقوا أمدوا بالمنهج من الله مباشرة، ثـم طرأت عليهم الغفلة، ثم طرأت بعد الغفلة تأثيرات الـبيئة، فطرأ الكفرعلى ما كانوا يعلمون.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسم الله على كل الألسنة

وأيضاً فى لغتنا نحن: (الله) علم على واجب الوجود، يعنى اسم الله: اسم للقوة المطلقة بكل صفاتها، ووضع اسم على مسمى أمر ألفناه جميعا؛ لأننا نضع الأسماء للمسميات كما وضعوا أسماء على مسميات، إذًا فليست هذه المسألة مشكلة بالنسبة إلى الناس حتى أنهم يضعون الاسم صاحب المعنى الجيد على المعانى الخسيسة، يجئ واحد عنده زنجية ويسميها «قمر» حد بيقول له ليه أنت بتسميها «قمر»؟ بينقلها للضد، ييجى على واحد شقى، ويسميه «سعيد»، إذن، فأنت حر فى أن تضع اسما للمسميات، بعد ذلك يأتى تحد فى القرآن، وهو من صميم إعجازاته، القرآن استقبل الناس الإيمان به، وبعضهم كابر وجادل وظل على كفره، الكافر والمجادل، أيحب أن يعجز الرسول أم يعين الرسول على مهمته؟ لا شك أنه يريد أن يعجز الرسول، وهم يعرفون وضع الأسماء للمسميات، وبعد ذلك يأتى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فيقول فى آية من كتابه: «الرحمن» هل تعلم له سميا، يعنى: أعرفت أحدا سمى اسم «الله» على نفسه؟ لا أحد، لكن من الجائز أن محمدا استقرأ الأسماء فلم يجد أحدا من قبله سمى شيئا «الله» فما الذى كان يضمن لمحمد ﷺ أن يجترئ كافر ملحد ليقول: «سأتحدى القرآن وسأتحدى محمدا وسأضع اسم (الله) على أى شئ لى» ما حصل ذلك أبدا، وظل اسم (الله) لله، ومعنى أن الكفار الملحدين والمعاندين لا يصنعون ذلك دليل قاطع على أنهم يطمئنون إلى وجود تلك القوة، وإلا فما الذى يخيفهم؟ أو على الأقل: غير واثقين تمام الثقة مما يعبدون؛ لأنهم لو كانوا واثقين مما يعبدوون لرأوا فيما يعبدون حماية لهم أن ينزل الله بهم شيئا من القسوة، فتحدى القرآن « هل تعلم له سميا»، والمستدل عليه الآن لا أنه لم يوجد ذلك قبل، ولكنه أيضا لم يوجد بعد، مع وجود المكابرين والمعاندين فى وجود الله، تحداه أن يطلقها فيخاف؛ لأنه لا يريد أن يجعل التجربة فى نفسه، ولو كان واثقا من موقفه العقدى لأطلق ولم يبال.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لماذا الإيمان ضرورة عقلية

إذن فـالإيمان بالله ضـرورة عقليـة، وبعـد ذلك حين نؤمن نقـول: من خلق الحياة؟ الله، والذى خلق الحياة هو الذى ينظم حركة الحياة، يقول: افعل كذا، لا تفعل كذا، وحين ذلك يوجد الإسلام، فلا يوجد أى انقياد لأمر ونهى إلا بوجود عقـيدة تسبـقه فى أن الآمر والناهى أهل لأن يؤتمن على أمـره، وعلى النهى منه؛ لأنه صـانع، ولأنـه حكيم، ولأنه قـادر، ولذلـك يكون إسـلام المسلم زمـامـه لتوجـيهات ربه إسلامـا عن عقيدة، أمـا أن لا يكون إسلام عن عقيـدة - ومعنى عقيدة: قضية اختمرت فى القلب اختمارا، بحيث لا تطفو إلى الذهن لتناقش من جديد، وإن كانت لها مرحلة تناقش من جديد، فهذا ليس إيمانا، والإيمان لا يتأتى فى الأمور المحسـة، لا يقال: إنى أومن بأنى بينكم الآن، وأتكلم بين أيديكم، لا يقال: إن هناك كـأس ماء مملوءا أمامى، ليست تلك منطقـة إيمان، بل منطقة حس ومشاهدة، إذن، فمنطقة الإيمان فى الأمور الغيبية، ولذلك عندما سئل رسول الله ﷺ : «ما الإيمان؟» قال: «**أن تؤمن بالله (غيب) وملائكته (غيب)**»، لأن الله قال﴿ **وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** ﴾[1] فيأتى أحد سَطْحِيِّى العلم، فيقول: لا، أما الإيمان بالكتب والرسل فأمر حسى، فنحن نرى الكتب ونرى الرسل، ولكننا نقول: لا، لأنك لم تر جبريل وهو ينزل بذلك الكتاب على رسـوله، إذن، فإيمانك بالكتاب وبالرسول لا يزال أمرا غـيبيا، وبعـد ذلك تؤمن بالقضاء والقدر، وكلهـا أمور غيبـية، إذًا، فمتعلقات الإيمان العقدى أن يكون فى أمر غيبى، حين تسلم زمامك لعقيدة يقال: إنك آمنت. ولذلك إذا فـعل الفعل بدون عقـيدة، مـاذا يقال؟ يقال: إنـك مسلم ومنافق. ولذلك حينمـا قالت الأعراب آمنا، مـاذا قال لهم؟ ﴿ **قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾[2] أخذنا السلوك الظاهرى إنما عن غير رصيـد عقدى، إذًا، فالإسلام

---

(١) سورة البقرة، من الآية : ٢٨٥.

(٢) سورة الحجرات، من الآية ١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لابد أن توجد له ركيزة عقـدية أولا، حتى يطمئن الإنسان إلى أن هذا الأمر وهذا النهى هو أحكم ما يوجـه من أمر وأحكم ما يوجـه من نهى، سواء فطنت أنا إلى حكمة فعل الأمر أو إلى حكمة ما نهانى الله عنه أو لم أفطن، لماذا؟ لأن العبودية هى التى أسلمتنى لذلك الأمـر، ولذلك تجد القرآن عندما يتكلم عن هذه القـضية المرحلية والإيمان ـ أيقول:

«يا أيها الناس كتب عليكم الصـيام»؟ ـ لا ـ يقول: ﴿**يا أيهـا الذين آمنوا**﴾، يعنى يا من وجدت عندكم خميرة الإيمان بى واعـتقدتم وآمنتم بوجودى وبقدرتى: أنا أشرع لكم، إذن بغير رصيد الإيمان لا يشرع، ويلاحظ هنا دقة العطاء فى اللفظ القرآنى وخصوبة الأداء فى اختيار الكلمة فى مقامها: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ لماذا لم يقل: كتـبت أو كتب الله؟ ولكن يقـول: (كتب) وبناه للمجـهول، مع أنه من المعـروف من الذى كـتب (الـله)، مـا العلة فى أنه عـدل عن ذلك اللـفظ المبنى للمعلوم وبناه لما لم يُسَمَّ فاعله؟ هذه العلة يجب أن يلتفت إليها الذهن، لماذا؟ لأن قضية الإيمان عقد، وعقد بين المؤمن والمؤمن به، فالله لم يكلف من لم يؤمن به، إنما كلف من آمن به، إذن، فحين دخلت للإيمان بالله دخلت طواعية، وآمنت به، إذن، فأنت شريك فى كل التـزام تقنينى يصدر عن ذلك الإله. كان من الممكن أن لا تخضع أبدا، إذن، أنت شريك فى هذه العملية. ومن اللحظة التى يقول فيها: «كتب» فأنت شريك فى هذه العمليـة، لو لم تؤمن به لما كتبت، يعنى أنك عندما دخلت كنت معى فى هذه الكتـابة، أى فى إجراء صيغـة العقد (وما دام تـعاقدت استـمع منى)، ذلك لأن علة فعل المؤمن لأى حكم من الأحـكام، إنما هو صدور الأمر من الله به، أمـا علة لماذا أصدر الله هذا الأمر؟ قد تطـيقها العـقول وقد لا تطيقـها، قد تعرفـها وقد تجـهلها، إذا كان الله قـد حرم الخنزير، أكنا نؤجل هذا الحكم (حكم إيمانى مع إيقـاف التنفـيذ) حـتى تأتى الآلات والمعامل لتـبين لنا أن بالخنزير شيئا ضارا؟ لا، نحن اسـتقبلنا ذلك وحرمناه وإن لـم نعلم. لماذا؟ ثقة فى المحرم، هو قال ذلك، فلابد أن هنـاك حكمة، سواء عرفتها أو لم أعـرفها، وبعد ذلك تأتى الأيام ويأتى الارتقاء العلمى ويبينون لنا المضار التى فى هذه الأشياء.

---

(١) سورة البقرة، من الآية :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلم تثبيت للإيمان

إذن، العلم يكفى للأسباب التى حرم الله بهـا الأشياء، يجب أن تكون ذريعة لتثبيت إيمـانك بقوة الحكيم وقدرته وحكمته فيـما لم تعرف من أحكام، إذن، علة إقبـال المكلف على أى أمر من الأمـور هو أمر الله به، وبعـد ذلك الأمور أنواع: نوع للبشر فيه تقنينات، ونوع ليس للبشر فيه تقنينات، فالنوع الذى ليس للبشر فيه تقنينات نسميهـا أمورا تعبدية، والنوع الذى للبشر فيـه تقنينات كالأمور التى تحقق مصالح الفرد ومـصالح الأسرة، ومصالح المجتمع، ومـصالح التقاضى، كل هذه المصـالح لك حـرية البـحث والنقـد فـى أن تأتى بأى تقنين من الـقـرآن (تقنين سماوى)، ثم تقارنه بأى تـقنين، ومهما علا التقنين البشـرى فإنه يقنن على مدى علم المقنن، وبذلك قـد تخطته أشيـاء، وبعد ذلك يضطر أن يعـدل، يضطر حين التطبيق أن يعرف خطأه فـيعيد، ولكن حين يكون المقنن الحق ـ سبـحانه وتعالى ـ الذى لا تخفى عليه خـافية، فإنه يصل إلى منتهى الكمال فـيما يريد، ولذلك إذا جئت بأى قانون وقـرأت تطوره والتعديلات التى طرأت عليه من المقـننين البشريين وجدت أن أى تقنين يرتقى يقترب من وجهـة نظر الإسلام، فما دام الأمر كذلك، فإنه على المسلم أن يستقبل قضية الأحكام وقضية إسلامه لمنهج ربه بتوثيق ما صدر عن الله، فيكون عـمله أن يقول: «أقال الله ذلك؟ أقـال رسوله ذلك أم لم يقله؟ فقط» وبعد ذلك يقبل على الأمر، فإذا كان أمـرا عباديا فلا يحاول أن يفهم علته، أولا: لأن فهم العلة أولا يفـسد عبـادته، فلو أنك أقنعت واحدا بغلة مـسألة من المسائل، لو أن وثنيا جاء ليـقنعك بعلة أمر من الأمور، فلو أن كل أمر يتطلب أن تقتنع بحكمته فذلك يفسد معنى العبودية، إنما العبودية أن تأخذ الأمر من الله بعد أن وثقته، وأن تثق تمام الثقة فى أن ذلك أحكم ما يوجد فى هذا الموضوع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قمة العبودية لله

وبعد ذلك، إذا أقبلت على الأمر بهذه النية تكون قد أخذت قمة العبودية لله، وبعد ذلك قد يطلعك الله في ذات نفسك على أسرار أحكامه، ويفيض عليك إشراقات، فالذين قالوا: حكمة الصلاة كذا وحكمة الزكاة كذا أو حكمة الحج كذا أو حكمة الصوم كذا، هم قوم نفذوا الأمر أولا ثم أدركوا في نفوسهم ما يعطيه هذا الأمر من عطاءات في نفس الإنسان، فقالوا: لكذا وكذا، ولكذا، فرض أركان الوضوء أربعة، وهي: غسل اليدين، والوجه، ومسح الرأس، والقدمين، وقال الرسول: إنه لابد من غسل الكفين إلى الكوعين والمضمضة، والاستنشاق، فلما أفتى الرجل نفسه في هذه السنة أدرك أنه لابد أن تكون هناك حكمة، ولا شك أن الرسول يعرف خواص الماء، السائل الذي لا لون له ولا طعم ولا رائحة، فلما يأخذه بيديه يرى أنه لا لون له، ولما يتمضمض يعرف أنه لا طعم له، فإذا استنشق يعلم أنه لا رائحة له، إذن، فهو ماء صالح للوضوء. إذن، فعلل الأسباب وأحكامها لا تأتي أولا قبل أن تنفذ، ولكن نفذ، لأن الله قال. وأنا قلت سابقا: إن الناس لا يعاملون ربهم معاملتهم لأنفسهم، لماذا؟ لأن الإنسان عندما تكون صحته متعبة يذهب إلى الطبيب، حين يذهب إلى الطبيب، توجد أولا عملية عقلية، وهي أن يقول أولا: إن معدتي متعبة، لأني عندما آكل أتعب، إذن، فقد حددت موضع العلة، وعلى ذلك: هل أذهب لطبيب جراحي أم لطبيب باطني؟ طبعا أذهب لطبيب باطني، ومن هو الطبيب؟ أقول: والله فلان متخرج من كذا وله سوابقه في كذا وفي كذا، وهذه هي عمليتي العقلية، وانتهيت منها فأسلمت زمامي للطبيب، جلس الطبيب فشخص المرض، وجلس يصف الدواء، أنا لا أمسك قلمه عند كتابة أي عقار لأقول له: لن أشربه حتى تقنعني بحكمته، وإلا وجب علي أن أدرس تسع سنوات في الطب لكي يقنعني، وهكذا يحول عيادته إلى كلية للطب مع كل مريض، ولكن آخذه وأبحث عنه وإذا لم أجده فإن

الصديق الوفى هو ذلك الذى يستورده لى من مكان آخر وآخذه، فإذا جاء إنسان يعودنى ويقول لى: لماذا تشرب هذا الدواء؟ أنا لا أدخل معه فى متاهة، لا أقول لأن عندى الكزرية تعبانة والقناة أصابها ضيق، وأن هذا الدواء يؤدى إلى تمدد وانفتاح . . . إلخ، لا أدخل معه فى هذه المتاهة، وإنما أقول: إنى أشربه لأن الطبيب كتبه، إذن، فإذا كنا نتعامل مع بعضنا هذا التعامل بأن العقل له مهمة، هو أنه أوصلنى للطبيب، وبعد أن أوصلنى إلى الطبيب انتهت المسألة، ولكنى أريد أن أتناقش معه، هذا يمكن إذا كنت طبيبا مثله، وبذلك تعقد (كونصلتو) وقل له: «والله لقد أخطأت فى كذا».

إذن، فمن الذى يناقش فى الحكمة؟ الذى يناقش فى الحكمة دائما هو المساوى لمن قنن فى الحكمة، وإلى أن يوجد مساو له، (يبقى) يناقش فيما قنن. إذن، فالإسلام من المؤمنين لله هو مدلول الإسلام، وذلك معنى ليس بأحمق، وإنما بعقل وبمستهذبات وبمتطلبات، فإذا ما أسلمنا زمامنا لله ليصرف حركة حياتنا كنا مسلمين حقا.

الفكر

فإذا أردنا بعد ذلك أن نتكلم عن الفكر نقول: ما مهمة الفكر؟ وما هو الفكر أولا؟ الفكر: هو الخاصية التى امتاز بها الإنسان، ونسأل: هل الفكر عمل فيما لا بديل له؟ نقول: لا، لا عمل للفكر فى أمر لا بديل له، إذن، للفكر عمله فى اختيار البديل. تكون هناك حاجات متعددة، ثم يأتى العقل ليقول: هذا نفعله لأنه أنفع من هذا بدليل كذا وبدليل كذا. إذا كان هناك مكان أنا أريد أن أذهب إليه، وليس هناك إلا طريق واحد فلا عمل للفكر فيه، أما إذا كان له طريقان أو ثلاثة يمكن للفكر أن يتدخل فيه، إذن، فمهمة الفكر الاختيار بين البدائل، وبهذا تمتاز أنت عن الحيوان، من الذى يقرر البدائل؟ هو الفكر، بدليل أن الفكر عندما يتعطل بجنون فليس موضعا للتكليف؛ لأن آلة الاختيار بين البدائل لا وجود لها.

إذا لم يكن قد نضج بعد وبلغ الرشد، فلا تكليف، إذا كان هناك إكراه من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قوة أعلى، يسقط التكليف والمسئولية، إذن، فعدم تكليف المجنون وعدم تكليف من لم يبلغ الرشد وعدم محاسبة المكره، يدل على أنه لا يمكن أن نحاسب الإنسان على تصرف اختار بديلا فيه إلا إذا استوفى هذه الأشياء، أن يكون غير مجنون، وأن يكون ناضجا، أى بعد سن الرشد، وألا توجد سلطة تكرهه على فعل، هذا هو الذى يفسد اختيار البدائل، إذًا فسنعود مرة أخرى للحيوان وهو الجنس الذى هو أدنى منى، الحيوان يصيبه أى أثر من أى إنسان أو من حيوان مثله، فينفعل لذلك الأثر الإيذائى، كيف ينفعل الحيوان؟ ينفعل انفعالا واحدا للأثر، يرفس أو يعض أو يستعمل مخالبه، ليس لديه بدائل. لماذا؟ لأنه ليس له فكر ليختار به بين البدائل، وليس عنده قيم تفهمه أن الغريزة تهدف إلى صون الحياة، فتصرفه واحد أمام أى انفعال، ولكن الإنسان: يأتى إنسان فيصفعنى، ذلك أثر يوجب فى نفسى انفعالا، وهذا الانفعال، ماذا يحدث؟ يصح جدا أن أرفع يدى وأصفعه بمثل ما صفعنى، ويصح أيضا أن أضربه بقدمى، ويصح أن أضربه بشكل أخف من ضربته، ويصح أن أنفس عن غيظى بعملية نزوعية، بأن أشتمه أو أسبه، ويصح أن أقول: لا أدرى ظروفه النفسية، فلعل ظرفا نفسيا أتعبه، فأنا أتحمله، لعل الله يوجد لى عندما يتغير ظرفى النفسى من يتحملنى، وإذا كنا نحن الاثنين عبدين لله ـ كلانا من صنعته ـ وذهب أحدنا إلى البيت ليجد أن أحدا من أبنائه قد أساء للآخر، فمع من يكون قلبه؟ مع الظالم أم مع المظلوم؟ مع المظلوم، إذن يمكنك القول بأن الإساءة إليك قد تجلب لك عطف الله، فأسامحك وأحسن إليك فهى معللة التعليلات النفسية.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحسن والمسئ

أفلا أحسن إلى من جعل الله فى جانبى عندما أساء لى وأنا صنعة الله؟ غار الله لى فكان فى جانبى، وما دام الله فى جانبى (يبقى كتر خير اللى أساءنى)، تجارة الناس مع من يحسنون إليهم أم مع من يسيئون إليهم؟ تجارة الناس مع من يسيئون إليهم؛ لأن من يحسن إليه يأخذ منه، ومن يسئ إليه يعطيه، ولكن الناس تتاجر فى الخسران، لا يحب إلا من أحسن إليه. إذن، عندما جاء ذلك الأثر فى النفس الإنسانية يمكن أن يختار كذا من البدائل، هل اختيار البدائل عشوائى أم مبنى على قيم؟ مبنى على قيم تسيطر على منهج الفكر وترجيحه، وعلى منهج الفكر وترجيحه يكون السلوك منى، وأقلها: أن يكون الإنسان عاديا، فالله يقول: «فاعتدوا بمثل ما اعتدى»، وهل أنا عندى من الدقة الميزانية بحيث أضربه كفا فى قوة الكف الذى ضربنى ومثله بلا زيادة ولا نقصان؟ لا يمكن، وهنا ندرك قصة المرابى الذى قال: «إن تأخرت عن أداء الدين آخذ من جسمك رطلا من اللحم». ثم تأخر المدين فى السداد، فطالب المرابى بحقه، فقال القاضى اللبق: «لا مانع من ذلك، خذ هذه السكين واقطع من جسده رطلا من اللحم، فإن زدت أو نقصت بأى مقدار سنأخذ مقدار الزيادة أو النقصان من جسدك» وهنا تنازل المرابى عن دينه، من الذى يستطيع أن يتحكم فى المثلية؟ لا أحد يستطيع، إذن، المبدأ الإسلامى يفسح مجال التسامح، ومعنى الإفساح فى مجال التسامح **﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**(١) ولذلك يأتى إنسان ليقول: «إن قضايا الإسلام عجيبة، ها أنا قد دفعت بالحسنى وأحسنت إليه، ومع ذلك ظل عدوى» أقول له: ساعة تسمع من ربك قضية خذ القضية على أنها منطلق الحكم، كيف؟. لقد قال: **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**(١) فإذا لم تجده وليا حميما كما قال الله، فاعلم أنك لم تدفع بالحسنى، وإن ظننت أنك تدفع

---

(١) سورة فصلت، من الآية : ٣٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحسنى؛ لأن هذه قضية لازمة، ولذلك فإن منطلق النقاش فى الدين لا يأتى من الأشياء المختلف عليها، وإنما يأتى من الأشياء المتفق عليها أولا، وننطلق من المتفق عليه إلى المختلف فيه، حينما قال الحق ـ سبحانه وتعالى ـ: أنا خلقتك من طين، ثم نفخت فيك الروح، ومرت على الطين مراحل، كان ترابا، ثم أضفت إليه الماء، فأصبح طينا، ثم حما مسنونا، يعنى طينا منتنا متغيرا، ثم صلصالا كالفخار، ثم نفخت فيك الروح. قضية لم نشهدها، ولكن الذى آمنا به قال تلك مراحل خلقتك، بعد ذلك عندما أبحث كيف أبحث فى أمر لم أشهده، وقد قطع على الباب وقال: ﴿ **مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾(1).

قوله: ﴿ **وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾(1) معناه أنه لم يكن هناك أحد يساعدنى ليقول لكم من ورائى، كنت المصدر الوحيد، لأننى الخالق الوحيد، فعلم هذه المسألة من جانبى، ما كان ظالم معى حتى يأتى من ورائى فيخبركم، إذن، فستظلون جاهلين، ولذلك عندما يأتى الإنسان لينطلق للمعنى الغيبى، فقد أخذنا المسألة إيمانيا، ولكن من رحمة الله أنه لا يترك لنا المسائل هكذا، بل يعطينا بصيصا لتصديق ما غاب عنا بشهادة ما أحسسنا، فعندما يقول: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ﴾(2) ترتيبه فى ظاهره غير طبيعى، فهو خلق الحياة ثم خلق الموت، لكن قال: «الذى خلق الموت والحياة»، مسألة لافتة يجب أن نقف عند معطيات القرآن ـ كلام الله ـ يجب أن أعرف لماذا ورد هذا اللفظ هنا أو هناك، لأن لها إيماءات فى المعانى، نعم، «الذى خلق الموت والحياة» لأن وجود الموت هو الدليل على صدق الله فى الخبر عن الحياة، لماذا؟ لأن الموت أمر مشهود لنا، إذًا، فالموت وإن كان أمرا عدميا والحياة أمر وجودى، إلا أن مراحل الحياة لم تكن حسية، ولكن الموت هو الأمر الحسى الذى نراه، فقال: انظر بحسك وتنبه؛ لأن قضية الموت ليست قضية خاملة، بل هى قضية

---

(1) سورة الكهف، من الآية : 51 .

(2) سورة الملك، الآيتان : 1 ، 2 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشهـورة، وما من أحد إلا ومسـته هذه القضيـة وكان على مشهد مـنها، يقول: «الذى خلق الموت والحياة» لأنه جعله كالدليل على صدق الإخبار بالحياة، وما دام دليلا فهو يقدم الدليل بين يدى المدلول عليه، مسائل أطوار الحياة غيبية والموت أمر حسى أمامكم، حين تموت، ما الذى يحـدث؟ ساعة الموت تخرج الروح، ثم ماذا يحدث؟ يتصلب الجـسم، وهذا كلام يقرره الأطباء، وبعد ذلك يتعفـن تعفنا رميا وينتن، وبعد ذلك يتبخر ما فيـه من ماء، ثم بقية العناصر تعود إلى التراب، إذن، مـا هو الموت؟ الموت: هو نـقض الحـيـاة، ونقض الشئ يأتى على عـكس بنائه، كيف؟ إذا قلت: أنا أسـافر من المكان الفلانى إلى المكان الفلانى، فـأمر أولا بكذا وكذا وكذا وكذا قبل مكان الوصول، فإذا ما حدث كانت آخر محطة وصلت إليها هى أول محطة حين أعـود؛ لأنى أريد أن أنقض السفر، إذا بنيت شيـئا وتريد أن تنقضه، فأنت تنقضه على عكس ما بنيته، فإذا كان الله قال: أنت تراب (صدق)، ثم وضع عليه الماء فأصـبح طينا (صدق)، ثم أصبحت حمـأ مسنونا، طينا منتنا، لأنه متـفاعل (صدق)، ثم صلصال كـالفخار متـجمد (صدق)، ثم نفـخت فيك الروح، ثم أصبـحت حيا. وعندما ينقض الحـياة، كيف ينقـضها؟ ينقضـها على عكس ما وجدت، يأخذ الروح أولا فيتـصلب الجسم ويصبح صلصالا، ثم يتعفن فيصبح حمأ مسنونا، ثم تتبخر المياه فتعود العناصر إلى التراب، إذن، الموت أثبت لى قضية صدق الله فـى الإخبار عن الحياة، ساعة يأتى فيعطينـى قضية فى نفسى وفى الأرض ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾[(١)] قارنوا الأرض بالنفس «آية للموقنين»، لقد قال: «أنا خلقتك من طين» وما دام خلقنا من طين ونفخ فينا الروح، لأن الـروح من أمره، إذن، هذه المادة الطينية منهـا غذائى وقـوام حيـاتى، والروح من عنده، إذن، فـمنهج الروح من عـنده، فإذا أخـذت الاثنين: غذاء مادتى وروحى من الأرض، فهذا لا ينفع، لابد أن آخذ غذاء مادتى من الطين الذى خلقت منه، أما غذاء روحى فـيجب أن أبحث عن مصدره، إذًا، من آين ينشأ الفساد؟ من أنى أريد أن آخذ غذاء المادة والروح من ناحية واحدة، لا

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[1]، سمعنا قصة الخلق، ثم جاء العلم الحديث فى القرن العشرين وابتدأ الناس يحللون العناصر، ونحن نعرف أنه من قديم الزمان كانوا يعتبرون أن العناصر فى الكون أربعة: الماء، والهواء، والتراب، والنار، ولم يدركوا أن ما يسمونه عنصرا هو مادة مركبة من عناصر، ثم جاءت أدوات التحليلات.. الخ. فعرفوا عناصر متعددة فى الكون، كانت (١٧)، ثم جاء (مندليف) فجعلها (٩٧)، ثم أصبحت الآن (١١٣) أو (١١٤)، إذًا فالعناصر فى الكون كثيرة، وعندما حللوا عناصر الطين الذى آخذ منه قوتى وجدوها (١٦) عنصرا: الأوكسجين ـ الكربون ـ النتروجين ـ الهيدروجين ـ الكلسيوم ـ الصوديوم ـ البوتاسيوم ـ الكلور ـ الفلور ـ الحديد ـ اليود، السيلون ـ والمنجنيز، تلك عناصر الطين الذى يخرج منه ذلك النبات، وبعد ذلك عندما حللوا الإنسان وجدوا الإنسان مكونا من الستة عشر عنصرا الموجودة بذلك الطين، معنى ذلك أن الله صادق عندما قال: أنا خلقتك من طين ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[1] هذه مسألة حللها الكفار، ولو قالها المسلمون لقيل: إنهم تواطأوا، وهل فى بال الكافر أن يدلل على صدق الإسلام فى شئ من الأشياء؟ لتعلموا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يسخر حتى الكفر لخدمة قضية الإيمان.

إذن، فمنطلق المسائل إنما يأتى من الأمر المتفق عليه الذى يمكن أن يدخل فى تجربة حسية، أما الذى لا يدخل تحت تجربة حسية، فآخذه أمرا غيبيا مسلما به؛ لأنه من الله، ولأن العقل لا يمكن أن يصل إليه، لأن مراحل العقل فى العلم التجريبى ـ كما نعلمها ـ ملاحظة على الأشياء، ثم تجربة معملية فى الملاحظة، ثم نظرية علمية، ثم حقيقة علمية. إذن، كل تلك الأمور التى نراها والتى انطلقوا بها بواسطة الصاروخ إلى القمر، هذه القضايا المفزعة للعقل البشرى الآن كلها مبنية على أمور بدهية فى ظاهرة من ظواهر الكون، قلت سابقا: لكى نعرف هذا لابد

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن ندرك ماهى المتواليات البرهانية؟ معنى المتواليات البرهانية: أنه عندما نأتى لأصحاب الهندسة، يا صاحب نظرية (١٠٠) بأى شئ تبرهن على صدقها؟ فيقول: أنا أبرهن على صدقها بكذا وكذا، أى حسب نظريته (٩٠) أو (٨٠) إذن، برهانك على أى نظرية يكون دليله على نظرية سابقة لها، ولكن بماذا برهنت على سابقتها؟ يقول بمسلمة فى نظرية قبلها، ولكى لا يطيل التنقل من ١٠٠ إلى (١)، سنقتصر على ٣، ٢ كيف برهنت على نظرية(٣)؟ بنظرية(٢) وكيف برهنت على نظرية(٢)؟ يقول بنظرية(١)، وكيف برهنت على نظرية(١)؟ لا يجد جوابا سوى: «بأمر بدهى»، ومعنى (أمر بدهى): أنه مطروح فى الكون ينظر إليه كل إنسان، إذن، فأعقد مسائل العلم منتهاه إلى أمر بدهى موجود فى الكون، وإلا فمن الذى لم ير ثمرة سقطت من شجرة؟ كلنا نراها وما أكثر الأشياء التى سقطت وأصابت الناس وهم جالسون، فيحذر بعضهم بعضا بعدم الجلوس فى ذلك المكان الذى تتساقط الأشياء عليه، إذن، فلماذا (نيوتن) كما ادعوا؟ (البيرونى) على التحقيق العلمى اهتدى إلى مسألة الجاذبية بثمرة سقطت على الأرض؟ هى ملاحظة وظاهرة موجودة فى الكون، ذلك الشخص وقف أمام الظاهرة بتأمل وإمعان، وأخذ يتساءل: لم لم تصعد؟ لم لم تأت يمينا أو يسارا؟، ثم انتقل من أمر بدهى إلى أمور، متى تحدث الفجوة؟ تحدث عندما تنتقل من الأمر البدهى إلى قمة نظرية (١٠٠)، ولكنك إذا سلسلتها من ١-٢-٣، تسهل وتسهل الفجوة فى أن تنقل من الأمر البدهى إلى أمر (١٠٠) ولذلك كان التراث العلمى الذى وصل إلينا، والذى نسب إلى أفراد، عندما يتسلسل تجده ينتهى إلى أمر بدهى «أرشميدس» الذى اخترع قانون الأجسام الطافية، الذى بنى عليه البواخر وما... إلى آخره، المسألة أنه كان فى الحمام وارتفعت بعض المياه، ثم وصل إلى موضوع الماء المزاح والحجم والوزن، ثم اخترع القانون، إذن، فأعقد أمور العلم من النظريات التى آتت أكلها للعالم كان الأمر البدهى هو الأساس الأصيل، وما دام الأمر البدهى هو الأساس الأصيل، فإن الله لا يريد منا إلا أن نلاحظ الظواهر فى كونه ملاحظة دقيقة؛ لأن وراء كل ظاهرة سرا، إذا أحببت أن تترف حياتك وترقيها وتنميها، اشغل ذهنك، لأنى خلقت لك مقومات حياتك الضرورية، فإن أردت أن ترتقى فقد أعطيتك

ذهنا، وأعطيت لك مظاهر كونيـة، وأعطيت لك مادة فأعمل عـقلك فى مادة الله التى خلقها ورتب الأمور، واستنتج ما شئت، فالذى ـ مثلا ـ كان يريد أن يشرب من قديم، إمـا أن يذهب إلى البـحر، أو يذهب إلى عين، فلمـا تعب استـخدم الدابة، ثم بدأ الناس يفكرون وأدركوا أن الماء له استطراق، فـتساءلوا: لماذا لا نبنى خزانا عاليـا ثم نأخذ منه أنابيب نمدها للبيوت؟ وعندما يريد الإنسـان ماء عليه أن يفتح الصنبـور، إذًا، فهذه مسـألة ترف فى الحياة، هذا الترف لا يتـأتى إلا عندما تعمل ذهـنك، أعمل ذهنك بطاقـتك الفكرية المخلوقة لله فى المادة المخلـوقة لله، ولا عمل لـك إلا أن تستيـقظ، وإن أردت أن تعيـش متخلـفا فأنت حـر، وهذه أسباب الحـياة موجودة للحاجـات الضرورية، وقد رتب الحق ـ سبـحانه وتعالى ـ ضروريات الحياة ترتيبا مهما، يجب أن يـفطن إليه الإنسان، وهو أن استبقاء الحياة التى خلقهـا الله فى الإنسان تتطلب أشيـاء، تتطلب طعاما وتـتطلب ماء وتتطلب هواء، الإنسان يختلف عن الآلة التى يصنعـها البشر، السيارة عندمـا ينفد وقودها تتـوقف تماما، لـكن عندما لا آكل لا أقف تمـاما، أسـتطيع أن أعـيش شهـرا أو شهـرين. لماذا؟ ذلك لأنى كائن حى ومن صنعة الله، فـقد صنع لى مخـزنا ذاتيا لقوتى، عندما آكل شيـئا أكثر من حاجة الحيـاة إلى سعر حرارى يتكون دم ولحم، وعندما لا أجد طعـاما يمكننى أن آخذ من ذلك المخزن، ولـذلك يمر موعد الأكل بالنسـبة للفرد، يقـول: «أنا نفسى انصـدت عن الأكل» لا يا أخى، لقـد تغذيت بالفعل، والدهن هو المادة الوحيدة التى تعطى للجسم كل العناصر اللازمة للغذاء، مادة واحدة، وعنـدما ينفد الدهن، يأكل من اللحم إلى أن يصل إلى آخـر مخزن وهو (العظم) ليخـدم السيد وهو المخ. كل حظ الجـسم أن يبقى المخ دون عطب، وطالما لا يوجد عطب بالمخ يمكن تدبير كل شئ، لو توقف قلبه، وأمكن عمل شئ من التدليك قبل أن تتلف خلايا المخ، يصبح من الممكن أن يعيش، لكن إذا تلفت الخلايا، إذا، فهـذا هو السيد، وأهم شئ بالمخ هو الفوسفور، وهو الذى يـستمده من العظام، ولذلك تجد دقة القـرآن عندما يتكلم عن زكريا: ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي** ﴾[1] آخر مخزن من قوتى، منتهى الضعف.

(١) سورة مريم، من الآية : ٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطعام والماء والهواء

إذن: الطعام يمكن الصبر عليه مدة؛ لأن عندى مخزنا ذاتيا، ولكن ما هو الحال بالنسبة للماء؟ يمكن للإنسان الصبر على الماء أقل من الطعام، حوالى عشرة أيام؛ لأن الماء ضرورى لإذابة العناصر التى تعطيك الغذاء، إذًا، فأنا أصبر على الطعام أكثر من صبرى على الماء، فإذا انقضت مدة طويلة دون طعام، يمكنك فيها أن تحتال، أو إن رضى عليك من ملك طعامك، والماء لأن حاجتى إليه أكثر لم يجعله الله مملوكا، إذًا، فالطعام يمكن أن يملك، والماء أقل فى الملكية، ولكن الهواء لا يملك أبدا؛ لأنه لا يصبر الإنسان عنه، فهو زفير وشهيق، فإذا ما ملك لإنسان فغير مأمون على أخيه الإنسان، فإذا غضب عليه منع عنه الهواء، قبل أن يتحرك إليه ليرضى عنه يكون قد انتهى، ولذلك جاء العنصر الأول فى الحياة عنصرا مشاعا لا يملكه أى أحد، والناس جميعا فيه سواء، ويجوز أن يشرب فرد الماء مقطرا وآخر يشربه ساخنا وآخر يشربه فاترا، كلهم سواسية فى أصل الوجود للحياة، إذن، فالحق ـ سبحانه وتعالى ـ حينما يعطى أى قضية إنما يعطى دليل الغيب بدليل من المحس، وما دام الأمر كذلك، ويصدق فى واحدة والثانية والثالثة، فلابد أن ذلك يفرض علينا الصدق، ما نعرفه نقول صدق فى كذا وكذا، وما لا أعرفه لابد أيضا أن يكون صادقا فيه، حين نستقبل الإسلام بهذا، فذلك هو الفكر الإسلامى، معنى فكر إسلامى أن الذى وضعه هو الإله الذى خلق.

الفكر المعاصر:

نأتى بعد ذلك لقضية الفكر المعاصر،الفكر المعاصر عبارة عن نشاطات ذهنية، والنشاطات أنواع:

١ـ نوع محكوم بإطار دين الحق.

٢ـ ونوع محكوم بإطار غير دينى أصلا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ـ ونوع محكوم من قــوم لهم دين ولكنهم لا يمكنون الدين من قيادة حـركة الحياة.

فالأفكار المعاصرة مصدرها ثلاثة:

١ـ إما أفكار ناس محكومين بدين الحق.

٢ـ وإمـا أفكار ناس متـدينين بدين يؤمنون أنـه حق وإن كان زيفـا، إلا أنهم يعزلون الفكر المادى أو الدنيوى عن قيادة الدين.

٣ـ وإما أن يكونوا أناسا ليس لهم دين أبدا.

هذه الأفكار حـينما يقف الإسـلام منها، نقـول: يا من لا تؤمنون بدين: إن حجتنا عليكم مـا قلنا من ضرورة الإيمان بالله نفسيا وعـقليا واجتماعيـا وارتضائيا ولغويا، وبعـد ذلك ما علينا ألا تؤمن به، الذى يدل علـى إفلاسك حين تريد أن تسود نظاما من وضع عقلك وتريد أن تخرج مؤمنين بالله من نظام لهم، لا تقارن نظامك بالنظام الذى يعـيشـون به، بل انتقلت إلى مـسألة ليست فى مـوضوعـية البحث، تأتى لتقـول إن الإيمان بالله خرافة، والدين خرافـة (طب يا سيدى اترك الإيمان جانبا. والدين خـرافة) وخذ أثر الإيمان وهو منهجـه، ثم قارن أثر الإسلام وهو منهجه ـ بمنهـجك. هو يريد أن يزلزل فى أنفسنا القيم الإيمانيـة حتى ننصرف عن كل ما تخلف عن القـيم الإيمانية، نقول له: «لا، هذا ليس نقـاشا»، هب أن هذا من وضع مـحـمـد، هب أن هذا من وضع المسلمين. فـالكلام الموضـوعى المنهـجى هو أن تأتى بالنظـام، ثم نرى هل هو مـثل نظامك أم أفـضل؟ هذه هى الأصول، إنما تدخل فى متاهة وتقول: الدين خرافة، يا سيدى الدين خرافة عندك وحقـيقة عندى، إذن، الموضوع الذى يربطنـى بك، هو نظام، هات نظامك وخذ نظام الخرافة، قارن هذا بذاك، هات أى جـزئية من الجزئيات لكى تراها إذن، أنت تدخلت فى أمر لا يعنيك. هذا الأمر هو أن النظام الإسلامى استمد قداسته عندنا لأنه من صنع خالقنا، فأنت تريد أن تزلـزل فكرى عن صنع خالقنا، ولماذا يجعل فكرك أولى من فكرى؟ إذن، ما أيسر الرد على من له فكر فى غير إطار دينى يعتقد به.

تأتى لقوم آخــرين لهم دين أيضاً، ولكنهم لم يحكموه فى نظام الحـياة، لأنه عندما حكم فى نظام الحـياة جرب ففـشل، هنا تجد معسكرين: المعـسكر الشرقى والمعسكر الغربى ـ المعسكر الشرقى يمثل فكرة (لادين)، والمعسكر الغربى يمثل فكرة (هنا دين) ولكنه معزول عن قيادة حركة الحياة، لماذا؟ معذورون لأنهم جربوا قيادة الكنيسة وقيادة البابوية، فلمـا جربوها وجدوها فاشلة، خنقت كل فكر أن يتحرك وكل ذهن أن يعمل، فتخلفت أوربا على يد الكنيسة وعلى يد سلطة البابا، عندما اتصلوا بالمسلمين فى الحـروب الصليبيـة وعرفـوا منشأ القـوة لدى المسلمين، لأننا لانملك لا كنيســة ولا بابا، كلنا فى العـبودية لله سـواء، «لا طاعـة لمخلوق فى معصـية الخالق»، «أطيعـوا الله وأطيعوا الرسول»، ثم يأتى فى آية بـالغة ويقول: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**(١) انفـراد بأمـر الطاعـة **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**(١) ثم عندما يدخل عنصـر البشر غيـر الرسول يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**(٢)، فلم يكرر معهم أمرا بطاعة؛ ليدلنا على أن طاعة البشر لبشر مثلهم غـير مختصين برسالة إنما هو من باطن طاعة الله وطاعة رسـوله، فليست لهم طاعـة ذاتية، وإنما الطاعة من باطن مـا تطيع الله به وتطيع رسوله، ولكن لماذا اخـتلفت الأساليب؟ **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**(٣)، **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**(٤) **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**(٤) بدون تكرير الطاعة.

نقول: هذه دقة الأداء القرآنى؛ لأن الذى يتكلم هو الحق ـ سـبحانه وتعالى ـ لأن الأحكام التى تتلقـاها ـ مرة يقول الله مـثلا ـ: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾**(٥)، ذلك أمـر من الله، يطاع. الرسول نفـسه قـال هذا الحكم:

---

(١) سورة النور، من الآية : ٥٦.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأنفال، من الآية : ٢٠.

(٤) سورة النساء، من الآية : ٥٩.

(٥) سورة آل عمران، من الآية : ٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«أيها الناس: إن الله كتب عليكم الحج». إذن، التقى أمر الرسول مع أمر الله، فالمطاع فيه أمر واحد، يقول: «أطيعوا الله ورسوله» لأن الأمر واحد، ومرة يكون لله أمر مجمل وللرسول أمر تفصيلى. مثل قوله ﷺ فى الحج ـ مثلا ـ: «خذوا عنى مناسككم»، إذن، عندما أقول: « أطيعوا الله»، أى فى أن كتب الحج، وأطيعوا الرسول؛ لأنه أيضا قال: «كتب عليكم الحج» وبعد ذلك قال: «خذوا عنى مناسككم»، إذن، فلله طاعة وللرسول طاعة، لم يتوارد أمر الطاعة على شئ واحد. هذا فى الإجمال وهذا فى التفصيل. وبعد ذلك يأتى أمر لم يشرعه الله فى نطاق الدستور الأصيل. فيقول: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾[1] لم يأت ذكر الله هنا، لماذا؟ لأنه وضع بهذا الدستور القرآنى، يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[2] كأى دستور عندما يضع أى تقنين، لا تجد فى الدستور أن الموظف الذى يتغيب ١٥ يوما يفصل، أى الدستور أناط بالجهاز الوظيفى أن يضعوا من القوانين ما شاءوا، فهم يصوغون ذلك بأمر الدستور الأصيل، ومادام قد قال الله: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[2] إذًا، لا يجوز أن نقول إن هذا الحكم لم يرد فى القرآن؛ لأن الرسول جاء ليبين، ولأن الدستور وضع أمرا بأن ما يفعله ويقرره يصبح أوامر. إذا، لابد أن يفرد الرسول بطاعة: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾[1]، إذن الطاعات أنواع.

ـ طاعة لله ورسوله معا فى الأمر حين يتفقان فيه.

ـ طاعة لله وطاعة لرسوله فى الأمر الذى يكون لله فيه إجمال وللرسول فيه تفصيل، فأنا أطيع الله فى إجمال ما افترض، وأطيع الرسول فى تفصيل ما فصل.

وبعد ذلك أمر لم يأت فى الكتاب، إنما جاء فى الكتاب بواسطة القاعدة الكلية ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[2] أعطاه أمرا استقلاليا، فى

---

(١) سورة النور، من الآية: ٥٦.

(٢) سورة الحشر، من الآية: .

كثير من الأحـكام بهذه الآية التى أمر بها رسوله فى الطاعة، يرد عـلى قوم أخبر عنهم رسول الله ﷺ فقـال ماذا؟ قال: «**يوشك رجل أن يتكئ على أريكتـه**»، ومعنى ذلك أنه جالس جـلسة العظمة «**يقول: بيننا وبينكم كتـاب الله، فما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجـدنا فيه من حرام حرمناه**»، يعنى نطرح سنة الرسول «**ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**».



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التساوى فى العبودية

وبعد ذلك جاء لولى الأمر وقال: يا ولى الأمر أنت نائب عن المؤمنين جميعا فى رقابة تنفيذ أحكام الله، ولذلك الخليفة الأول يقول: «أطيعونى ما أطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم» إذن، لم ترد فى أولى الأمر طاعة مستقلة، هذه أول مرتبة من مراتب أعزاز النفس الإنسانية ألا تكون تباعة لمثلها، وما دامنا متساوين فى العبودية فلنتساو فى التلقى، إذن، من الحرام ومن العبث ومن عدم الذوق أن نقارن بين فكر بشرى وإسلام سماوى. إنما نقارن فقط لنريح أولئك الناس المفتونين ببعض المبادئ، فقط ـ عندما نقارن ـ وإن نصرنا الإسلام ـ فالمقارنة ذاتها لاتشرف الإسلام. لكن ماذا نفعل إذا كان مستوى خميرة الإيمان فى المسلمين مفتونة بشئ يجعلنا ننزل إلى هذا المستوى

ألم تر إن السيف يزرى بقدره   إذا قيل: هذا السيف خير من العصا

عندما أقول: إن السيف أحسن من العصا، أبذلك أكون قد مدحت السيف؟ لا. لا تقل إن الإسلام خير من الفكر البشرى أبدا؛ لأن ذلك شئ لا يشرف الإسلام، كيف تقارن فكر محدثين خاضعين لأهوائهم ولتسلطاتهم به؟! والدليل على ذلك أننا نجد من حكم الواقع ما يؤيد هذا، العالم الآن فيه موجتان:

١ـ موجة علم مادى: ومعنى علم مادى: محكوم بالمادة وبالتجربة وبالعمل ـ الملاحظة بالتجربة العملية فالنظرية فالحقيقة العلمية ـ هل أفاد العالم أم لم يفد؟ أفاد العالم بالمخترعات والأشياء التى رفهت الحياة وقصرت المسافات وأعطتنا متعا.. الخ. هل يوجد كهرباء أمريكية وكهرباء روسية؟ لا توجد كيمياء إنجليزية وكيمياء ألمانية، لماذا؟ لأن الجميع محكوم لما تعطيه التجربة المعملية، والتجربة المعملية على المادة لا تجامل فهى تعطى الحقائق، فاتفقت المعسكرات، إذا كان هناك خلاف فى كيمياء فهو خلاف فى تأتى الصنعة فقط، فى دقتها: اختراع الأصباغ، اختراع المواد المذيبة، الألوان الثابتة وغير الثابتة. وهنا نقول: إنهم اتفقوا فى هذه النقطة، لأنهم محكومون بالمادة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ـ والموجة الثانية موجة مذهبية نظرية: كلام نظرى - يعنى - كلام غير معملى وغير تجريبى، يعنى كل واحد يحاول أن يقول نظرية ويبررها، فوجد فى الكلام النظرى معسكران: (معسكر شيوعى) و (معسكر رأسمالى) ولذلك تجد أن اختلافهم فى المذاهب النظرية أفسد التقاءهم فيما التقوا عليه من مواد، وسخروها لخدمة الأهواء، وكل واحد استغل هذه الآثار التى نشأت عن الترقى الفردى، وجعلها وسيلة من وسائل فرض النظر، ونحن نقول: إن فرض النظر هذا ليس صوابا. ثم نأتى لنحكمكما أنتما الاثنين. أولا: لا تطالبونا أبدا لأن نبرر أن الإسلام قمة فى التشريع، لماذا؟ الإسلام لم ينزل اليوم، الإسلام نزل من (١٤) قرنا، ولم ينزل نظرية، بل تعرض للتطبيق الفعلى، وأسست عليه مدنية وقامت حضارة، كانت عندنا حضارة عندما كنتم تطلقون على بلادكم: (القرون الوسطى) المظلمة، أيام «هارون الرشيد» صنع العلماء الماديون ساعة وأرسلوها هدية «لشارلمان»، فلما رآها شارلمان قال: إن بها شيطانا، مثلما قلنا نحن على الراديو أول ما ورد إلينا، وإذا أردت أن تعرف الأسس والبذور التى غرسها الإسلام فى حضارته وفى مدنيته فاقرأ للمنصفين ممن كتبوا عن تاريخ القضاء، اقرأ - مثلا - «شمس العرب تطلع على الغرب» لزكفريد هونكة، تجد أن كل ناحية من نواحى التقدم: البذرة والخميرة للعرب المسلمين طبعا؛ لأن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم شئ، اذهب إلى المكتبة فى نيويورك، ترى المكتبة بها مبنى زجاجى عال، رمز قاعة المطالعة صورة العربى بزيه أمام الأمبيق الذى يجرب فيه العمليات الكيماوية. إذن، الإسلام تعرض للتطبيق، وظلت أمته هى الأمة الأولى فى العالم قرابة ألف سنة، إذن، لا تقل إن الإسلام لم يكد ينزل الآن لتجربه، لقد جربناه ووجدنا فى تشاريعه ليس فقط ما يساوى الاشتراكية وغير ذلك من الهراء، عيب أن تقول هذا، لماذا؟ لأنه لو قارنا: أيوجد فى النظام الاشتراكى أن الدولة ملزمة بأن تعين للمكفوف قائدا مبصرا على نفقة الدولة؟ هل رأينا مثل ذلك؟ أنتم تأخذون من مال الناس لتعطوا للناس، هل وجد عندكم إيثار؟ نحن نعطى حق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله ونتطوع بشئ، بل أيضا عندما يكون لدى شئ واحد وغيرى محتاج إليه فإن لدينا ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[1] وأيضا فى التقنينات الأخرى التى تنظم شئون الحياة، إن لدينا الإيمان يبدأ من «**لا إله إلا الله**» حتى «**إماطة الأذى عن الطريق**» النظافة يعنى، جزئيات دقيقة لم يكن لعقل أن يدرك أن تكون تلك موضوعات تشريع، هل وجد فى تشريعاتهم - مثلا - أن الرجل الذى يعجن العجين ليخبز لابد أن يضع لثاما على أنفه وفمه؟ كان المحتسب فى قديم الزمان يصادر العجين إذا وجد الرجل دون لثام؛ لأنه من الجائز أن يعطس فتتسرب ميكروبات مرضه إلى العجين.

وأيضا من الذى يقنن للحلاق الذى يحلق للناس؟ الحلاق يحتم عليه وضعه فى مهنته أن يكون أنفاسه فى وجه الزبون، وهنا يمنع المشرع الحلاق من أكل البصل أو الثوم حتى لا يسبب للزبون ضيقا أثناء الحلاقة. هل وصلت التقنينات إلى هذا الحد؟ يقول أيضا: إن رأيتم جزارا ينفخ الذبيحة من فمه فلابد من عقابه، هل كنا نعرف أن هذا هو ثانى أوكسيد الكربون، وأنه يمكن أن يدخل اللحم ميكروب؟ إذًا، فهو تقنين استوعب كل قضية الحياة، ولا توجد قضية من القضايا إلا وله فيها رأى، ولكن إذا وجدت قضايا بالفعل، الإفلاس الشرقى أو الغربى وضعها، يأتى فيقول: «ضع لها بديلا فى الإسلام» فأقول له: أنا غير ملزم يا أخى؛ لأن الإسلام (متركب على بعضه) الإسلام لا يتخذ قضية واحدة، الإسلام يتخذ قضايا مسلسلة، يعنى قبل أن يحرم الربا، ماذا صنع؟ الربا الذى يمثل أساس الخلاف بيننا وبينهم، الذى يعتبرونه الدعامة الاقتصادية فى الحياة وإن عطلتموه فستظلون متخلفين... الخ، رد عليه بالقول: اقرأ آية الربا فى سورة البقرة ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ**﴾[2] وبعد هذه الآية عشرون آية كلها فى النفقة بجميع ظروفها الإنسانية والنفسية والتهديدية والامتنانية، قبل أن يحرم الربا وسَّع الرقعة للنفقة، حنن القلب البشرى، ثم

(١) سورة الحشر، من الآية : ٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية : ٢٦١.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وردت آية الربا، أى أن آية الربـا لم تأت عن خـلاء أو بدون أرضـيـة، لكن هذه الأرضيـة ليست عندكم فأنتم مـعذورون فى عمل الربا، ولكـن لدينا دين يُسَخِّى نفس الغنى، ويرفع همة الفقير حتى لا يكون آخذا، دين يسخر همة الغنى ليعطى ويرفع همة الفـقير ليـمتنع، هذا هو الدين الذى يصلح لـلحياة، بعـد ذلك يحرم الربا، أنت لم تقـبل أن تتطوع بالنفـقة والله لا يقـبل أن تعطيه بفـائدة أو بزائدة، فلنلتق بالمسألة فى منتصف الطريق، احفظ رأس مـالك كدين ولا تأخذ منه فائدة، ولذلك نزلت بعدها آية الدين ﴿ **إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾(١)، إذن، المسائل الاقتصادية إما أن يُسَخِّىَ الناس لينفقوا، فإذا لم ينفقوا يقول: أنت لم تنفق وأنا لا أرضى أن تأخذ، كيف تبـرر لنفسك وأنت واجد فضـلا عن حاجتك؟ لأن الذى يقرض غيره عنده مال زائد والذى اقترض محتاج، كيف تفرض على من هو محتـاج أن يعطى أكثر مما أخذ؟ هذا إجحـاف، فإذا كنت لا ترضى أن تنفق أو أن تتطوع فى سبيـل الله وأن تنفس عن أخيك كربة، أنا لا أقبل الربا، فـماذا يفعل؟ يأتى فى منتصف الطريق، نحفـظ لك رأس مالك لكن لا تأخذ منه زيادة، ولكن اسمع: عندما تداين ماذا تصنع؟ آية الدين إعجاز فى التشريع، آية واحدة جمعت كل المسائل، فيقول: ﴿ **إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾(١) ظاهر الآية الذى يفهمـه الناس فيقولون: «هل القرآن حـريص إلى هذه الدرجة على أن يوثق للغنى دينه حتى لا يضـيع؟! هذه قسوة على الفقـير!». والرد: لا ﴿ **إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾(١)، ثم يقول: ﴿ **وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ**﴾(١)، عندما تنظر تعتقد أنه يحمى الغنى وماله، لا، لا، إنه يحمى الفقير من نفسه، فإذا أخذ بدون صك عليـه، ربما حدثته نفسه أن يماطل أو أن يأكـل الدين، فإذا ماطل وأكل الدين، وجـاء بعد ذلك إنسـان يطلب من هذا الغنى أن يعطيـه فلن يعطى، بذلك عطل دولابا كبيرا، فلكى يدرك أنه قد كتب عليه صك وأنه لا سبيل فلا بد أن يعمل لكى يؤدى، إذًا هى حماية للدائن، وحمـاية للمدين من نفسه، وحماية للمجتمع كله أن يضن الأغنياء بمالهم حين يأتى الفقراء ويأخذونها ويماطلون فيها،

---

(١) سورة البقرة، من الآية : ٢٨٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبذلك يضمن التوازن الموجود، ولكن هل أقفل الباب أمام الأريحية الإيمانية؟ لا، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[1] هناك فرق بين التشريع وبين الطموح الإيماني، إذن فهو تشريع مستوف، ثم لماذا نبتعد؟.

(١) سورة البقرة، من الآية : ٢٨٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيوعية

رد فعل الرأسمالية

إننا لو نظرنا إلى المذهبين السائدين اللذين يتحكمان فى الأفكار الآن: المذهب الشيوعى والمذهب الرأسمالى:

المذهب الشيوعى قام كرد فعل للمذهب الرأسمالى، رأس المال تحكم وطغى وأصبح لأصحاب المصانع شراسة مع العمال، وكما يقال فى قانون الحركة: إن كل فعل له رد فعل، فإنه أيضا فى المعانى: كل فعل له رد فعل مساو له ومضاد له فى الاتجاه. الرأسمالية هنا، ومن تضطهد؟ العمال، إذًا لابد أن يأتى رد الفعل فى الطرف الثانى وهو العمال، ولكن إذا جاء طغيان من طائفة فنحن لا نأمن أن يأتى طغيان من الطائفة الأخرى، معنى ذلك أن الظلم موجه، وإن لم يكن من الناحية المالية فسيكون من الناحية الثانية، وهذا ما حدث، فيأتى الأفراد الذين وضعوا المذهب ويريدون السيطرة على الحكم، وأقصر وسيلة للتحكم هى أن يتحكموا فى لقمة الناس، وما دام قد تحكم فى لقمة الناس فبإمكانه أن يقودهم كما يشاء، الله يريد ذلك؟! الله يريد أن يأمن الناس على أرزاقهم وعلى معايشهم، وبعد أن أدركوا أن الظلم قد يكون موجها من هذه الناحية، قام (سيدنا) ماركس، الذى وضع النظرية ـ ونحمد الله أنه سماها نظرية ولم يسمها حقيقة ـ قال: «الدعوى ونقيض الدعوى والجامع بين الدعوى ونقيضها» كلام كالفوازير، فما هى الدعوى؟ هى الرأسمالية الظالمة، وما نقيضها؟ أن تستولى الطبقة العمالية، ولكن العمالية قد تطغى، ولكن هنا يأتى بعض الأفراد ليجمعوا بين الدعوى ونقيضها، وهذا ما يمثله الحزب الآن.

الرأسمالية التى ينادى بها الغرب، نقول: حينما يوجد مبدأ من المبادئ والمبدأ سليم فى ذاته، حين يكون سليما فى ذاته،ويود أن يرتقى: هل يرتقى إلى الأقوى أم يتنازل عن وضعه؟ الرأسمالية كان بها شراسة، ولكن الوضع حكم عليها أن تتنازل عن شراستها، أعطت للعمال حقوقا، حددت ساعات العمل، وضعت لهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تأمينا صحيا واجتماعيا، إذًا فقد تنازلت الرأسمالية عن شراستها، وما معنى تنازلها عن شراستها؟ معناه: أنها كانت خطأ!! والشيـوعية المواجهة لها قامت لكيلا تجعل أحدا يمتلك أبدا، ثم ظلت بعنفوان قوتها وتسلطها وبـالسمة الخميرية الموجودة فى مجتمعاتهم تعيـش مدة طويلة بقوة الدفع، وعندما طال الأمد ظهرت آثارها؛ لأن الحافز امتنع، وبدأوا يبيعون رصيدهم من الـذهب ليشتروا القوت، بدأت الشيوعية تتجه إلى وضع الحـافز، إذن، تنازلت عن أصلها، كيف ذلك وأنـتم تسمون هذا اشتراكية؟! أما الشـيوعية فلا زالت فى الطريق، إذن، أنت لم ترتق، وإنما تتنازل، ومعنى تنازل المقابل يدل على خطئه، ومعنى تنازل الطرفين: أنهما لابد وأن يلتقيا فى الوسط، كذلك جاء الإسـلام، احترم الحافز النفعى؛ لأن ذلك الحـافز النفعى هو الذى يدور عليه دولاب الحياة، هل كل الناس عندهم مثالية بحيث يركزون كل جهودهم لكى يـخدموا المجتمع؟ إن خـدمة المجتمع قد تأتى أمـرا طبيعيـا لخدمة نفسك، والمجتمع سيفيد رضيت أم كرهت، مثلا إنسان لديه مال، يراود نفسه أن ـ بدلا من تخزين المال ـ يبنى به عـمارة من عشرين طابقـا، بكل طابق أربع شقق، ثم أؤجر الشقة بـ ١٠٠ جنيه فأجمع حصيلة كبيرة، النفعية والتملك هما المسيطران عليه، سنسلم ـ جدلا ـ بأنه ليس عنده أى معنى إنسانى أو أى معنى اجتماعى !! فتقول له أن ينفـذ فكرته لأن المجتمع سيفاد قهـرا عنك، رضيت أم كرهت، فمن يقوم بالحفـر سيتقـاضى أجرا، وتلك طائفة فقيـرة، وسيتقـاضى أجرا كل من قام بعمل، سواء نجارة أو أسمنت أو بناء أو ديكور أو صباغة، إذن، قهرا عنك ـ وإن تكن هذه ملكيتك الخاصة ـ سيستفيد المجتمع.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حركة الحياة وقوة الخالق

إذن فحركة الحياة لابد أن تحكمها بقانون الذى خلقها، إن الله عندما يريد أن يدخلنى الجنة يقول: «**فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت**» ويشرح الرسول ﷺ قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾[1] إذن فهو بذاته يسوقنى إلى الخير بقانون النفعية الذاتية، فالإسلام فى مبادئه يقول للرجل الأنانى: والله إن كنت تحب نفسك فعلا لأصبحت مسلما، لماذا؟ لأن الإسلام يعطيك كذا وكذا وكذا. وقد يقول: إنه يقيد حريتى، والرد: أنه يقيد حريتك حقا ولكن من أجلك يقيد حرية الملايين، قال لك: لا تسرق وحدد حريتك فى أن تأخذ مالا حراما، ولكنك تنظر إلى ذلك على أنه تحديد لحريتك أنت، ولكنه من أجلك أنت حدد حرية ملايين الناس، فقال لهم: لا تأخذوا منه، فلا تنظر إلى ما أخذه منك إلا إذا قارنته بما أعطاك، يقول لك أيضا: غض بصرك عن محارم الغير، فتسأل: ولم يريد أن يمنعنى من رؤية الجمال والتمتع به؟ والرد عليه: إنه حدد بصرك لجمال أخلد وأحسن، وحدد بصرك كما حدد من أجلك أبصار ملايين الناس من أن ينظروا إلى محارمك، إذن، فكما أخذ منك شيئا أعطاك أشياء، وذلك فى قانون الدنيا، وبعد ذلك يأتيك فى الآخرة متعة من الفضل، إنما كل شئ ستأخذ جزاءه واضحا، ولذلك فعندما نأتى إلى شخصين أحدهما حملق فى الجمال وأدام النظر فيه، والثانى لم يحملق به، نقول عن الثانى: إنه أعشق للجمال ممن أدام نظره، لقد عف عما حرم الله ليرى جمالا أزليا أبديا أحله الله له، فمن منهما أعشق للجمال؟ أذلك الذى أخذ نظرة عابرة يكوى بسببها فى النار؟ أم الذى غض بصره ليأخذ حظه من الجمال حظا واسعا خالدا ؟.

---

(١) سورة السجدة، من الآية : ١٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احترام قضية الإيمان

إذن، فتعاليم الإسلام لايصح أبدا أن تقارن بأفكار البشر؛ لأن فى هذا إجحافا للإسلام، الإسلام من وضع الله، وما دمنا قد آمنا به يجب علينا أن نحترم قضية ذلك الإيمان.

ثم نأتى بعد ذلك لنرى ما أعطى الإسلام وما أعطته النظريات، عندما تعرضت إنجلترا بعد الحرب للأزمة الاقتصادية، قام شخص يدعى (كينز)، وهو إله الاقتصاد عندهم، ووضع نظريات اقتصادية صارت هى القمة الاقتصادية، ونأتى إلى نظريته فنراه يقول: «لا يمكن أن يؤدى المال وظيفته الكاملة فى الحياة إلا إذا انخفضت الفائدة إلى الصفر» لم لا تقول (تحريم الربا)؟! وفى قانون العمالة نراه يقول: «يجب على الدولة لمناهضة البطالة أن تقوم بأعمال ومشاريع لتشغيل الأيدى.. إلخ».

ونرد عليه ساخرين: «أهذا ما وصلت إليه فى القرن العشرين؟» إن لدينا العربى قبل الإسلام يقول: «احفر بئرا وطُمَّهَا وأعط الأجير حقه» سبحان الله!! ألأنَّ عربيا قالها لا تصبح نظرية؟ ولأن (كينز) قالها تصبح نظرية؟! يقول العربى: احفر البئر واردمها، ثم احفر واردم وادفع أجرا لكل من يعمل فيها، ولكن لماذا لم يقل (تَصَدَّقْ)؟ لا، لأنه عندما يتصدق يخلق جيلا من محترفى البطالة، عليه أن يعمل ليأخذ بعزة وبكرامة وبعمل، استفدت بطاقاته فى الجود فى أن يعمل وماذا قال (كينز) أيضا؟ قال: «إن الاقتصاد الإنجليزى لا يمكن أن ينجح إلا إذا تحقق له شيئان فى خط واحد: الإنتاج والتنمية، وأن لا يتعطل العمال» يعنى إذا كان موظف يتقاضى مبلغا ما من الجنيهات ثم يستهلك ويشترى منتجات بقدر مرتبه، فلن يستطيع يوما أن يرقى حياته فيشترى ثلاجة أو راديو أو سجادة، أما الذى يستطيع أن يرقى حياته فهو الذى يوفر، كذلك الدول لابد أن توجد مدخرات لكى يكون هناك تنمية مع الإنتاج، ترتقى بالتنمية وتدوم العمالة بالإنتاج؛ لأنه لو لم

يكن هناك تنمية لن يصبح هناك استهلاك، وطالما قل الاستهلاك يتعطل العمال، ولكن إذا اتجهنا إجماليا للاستهلاك، فلن يكون هناك تنمية، إذن ماذا نفعل؟ يسير الإنتاج مع التنمية فى خط واحد، وسياسة الفرد تكون حكيمة، إذا كانت على قدر هذا التوازن، فلو أنفقت كل دخلها فلن ترتقى أبدا، هل هذه هى النظرية يا سيد (كينز)؟ إن القرآن عندما تعرض لهذه المسألة لم يتعرض لها بأن قال: سورة فى التوازن الاقتصادى، بل لمسها لمسا خفيفا لأنه رب، إله، هذه المسائل التى أتعبتكم وخصصتم لها متخصصين، يلمسها الله هكذا، ماذا قال؟ ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾(١) ما أنفق بلا إسراف؛ لأنه لو أسرف لن يحقق مدخرا ينمى به نفسه، وإن قتر فلن يكون هناك إنتاج؛ لأنه بذلك يعدم الاستهلاك: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾(٢) إن غللتها إلى عنقك ستقعد ملوما من المجتمع؛ لأنك إنسان بلا خير ولا نفع، وإن بددتها ستقعد محسورا، لا أريدك هكذا تقعد ملوما محسورا، وذلك هو الميزان الاقتصادى.

❀❀❀

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلام

والأديان السابقة

تلك هى مهمة الإسلام التى جاء من أجلها، سبق الإسلام بدينين عظيمين: الدين الموسوى والدين المسيحى، تلاحظ على الدين الموسوى أن المادية ـ بعد تحريف الكتاب ـ طغت على كل بنود الدين، تقرأ التوراة فلا تجد كلمة واحدة عن اليوم الآخر، ولا عن القيم، وإنما فيها كلام مادى صرف، حتى أنهم أرادوا أن يطبقوا قانون المادة على الله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾(١) أيها الأغبياء: هل ذلك الإله الذى يرى جهرة يمكن أن يكون إلها؟ ثم يقولون: إن الإله قد مشى فى الجنة، ثم سمع يعقوب صوته، فاصطرع معه، وكاد يعقوب أن يصرع (ربه)، فقال له: يا يعقوب استح فأنا ربك، ثم جعلوا بيوت أنبيائهم بيوت دعارة، فإبراهيم أخذ سارة إلى مصر لكى يراها فرعون مصر ويعجب بها ويعطيه بقرات وخلافه، دين كله ماديات، لا معانى ولا قيم. دين أصبح بتحريفه لا يمكن أن يصلح لقيادة الحياة. فإذا كان هذا الدين أخذ الماديات كلها، فإذا جاء دين بعده أيعطيهم ماديات أم العنصر المفقود؟ يأتى العنصر المفقود وهو الروح، فجاءت المسيحية بقيم روحية بعيدة عن الأمور المادية تماما، لماذا؟ لأن ذلك هو العنصر المفقود عند بنى إسرائيل، ويقول الله: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾(٢) جاءهم رسول لكى يعدل لهم المزاج الإيمانى: يا قوم، يا من انصرفتم إلى المادية البحتة وعطلتم منهج ربكم عن القيم الروحية: لقد أرسلت لكم عيسى لكى يقدم لكم قيما روحية بحتة، ثم تضم القيم الروحية فى المسيحية إلى الماديات التى عندكم فينعدل المزاج الإيمانى، ويكون تشريعا صحيحا يمكن أن ينسب إلى الله، لكن هؤلاء عادوا هؤلاء، فظلت اليهودية فى ماديتها وظلت المسيحية فى رهبنتها، وأصبحت لا تصلح لقيادة المجتمع، فلما جاءت الكنيسة وسيطرت بالمسيحية

---

(١) سورة البقرة، من الآية : ٥٥.

(٢) سورة آل عمران، من الآية : ٤٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصبحت المسألة رهبنة، فنادى الناس بإبعاد الكنيسة، وقام «مارتن لوثر»، فلما أبعدوا الكنيسة نشط الذهن العقلى وابتدأ يخوض بنشاطه فى علم المادة والتجربة. . الخ، فارتقت البلاد وقالوا: هذا ما جنته علينا الكنيسة، ولو لم تكن متحكمة لكان ارتقاؤها قد سبق منذ عدة قرون. إذًا، الكنيسة معوقة والمسيحية نفسها هى التى عوقت؛ لأنها رهبنة وخلافه، بل قالوا: إن الأديان فى مجموعها معوقة!! وبذلك خلعوا على المسيحية وزر الكنيسة، وخلعوا على كل الأديان وزر المسيحية المحرفة، ومن العجيب أننا قد سمعنا هذا الكلام من مستشرقين، بأن الدين خدم التخلف. ونقول لهم: لقد كان الدين تخلفا عندكم، لكنه لم يكن تخلفا عندى، جرعتان من طبيبين: طبيب إذا أعطى جرعة صح الجسم وإذا امتنع عنها المريض مرض الجسم، وطبيب آخر إذا أخذ المريض من دوائه ضعف الجسم، وإذا امتنع عن أخذه قوى الجسم، ما الذى يدل عليه ذلك؟ يدل على أن الجرعة الأولى جرعة حق، حينما يأخذها يقوى وعندما يمتنع عنها يضعف، أما الجرعة الثانية فباطلة؛ لأنه عندما يأخذها يضعف وعندما يتركها يشفى، كذلك الدينان: الإسلام عندما قاد الحياة فى المسلمين أسس حضارة ومدنية، وعندما تخلى المسلمون عن إسلامهم انحطوا وتخلفوا، ودين آخر يقابله وهو المسيحية عندما أخذوا منه ضعفوا، وعندما تركوه جانبا وأخذوا نظام حياتهم السياسية المدنية جانبا بعيدا عن الكنيسة تقدموا، إذن فتلك جرعة حق وهذه جرعة باطل، ولذلك نجد أن الله لم يترك اليهود والمسيحيين دون أن يبشرهم بما آلوا إليه من مادية بحتة وروحانية بحتة على أصلها، كيف؟ عندما يحكى الله يقول: **﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**(١) لا يكون شديدا على الكفار إلا إذا كان مؤصلا بقوة، ولا يكون بهذه الشدة إلا إذا كان لديه العلم المناسب لإيجاد معدات هذه الشدة، **﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا ﴾**(١)، كلها قيم **﴿ سُجَّدًا ﴾**(١) ليسوا مغرورين بعلمهم أو مالهم أو إمكانياتهم **﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾**(١) والسجود هو أقصى ما يمكن من خضوع العبد لربه، كلها قيم،

---

(١) سورة الفتح، من الآية : ٢٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾[1] يعنى كأنه قـال لهم فى التوراة: يا بنى إسـرائيل سوف تختلون فى منهجكم وسأبعث رسولا لديه قيم مفقودة عندكم، بذلك ترك العنصر الموجود وأتى بالعنصر المفقود فى بنى إسرائيل ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾[1] لم يأت هنا بقيم ﴿كَزَرْعٍ﴾[1] أمور ماديـة صرفة ﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[1] فكأنه قال لليهود فـى التوراة: إننى سآتى برسول يجمع أمرين: العنصر المفقود فـيكم وهو القيم، وفى الإنجيل قال: سآتى بالعنصر المفقـود فيكم وهو المادية، فالإسـلام بهذا النص جاء ليـقود الحيـاة فى ميدانيـها: الميدان القيمى الروحى، الخلقى، الذى يصون كل حضارة عن شراستها وطغيانها، والميدان الآخـر: الميدان المادى الذى نبهنا الله إلـيه ونبهنا بأول وسـيلة من وسائل العلم التجريبى وهى الملاحظة، بقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[2] فحين يخبر الله عن القوم أنهم يمرون بآيات ربهم وهم عنها معرضـون، فمعنى ذلك أنه يريد منهم أن يلاحظوا كل ظاهرة، وأن يلاحظوا كل آية، فبملاحظة الظواهر، وبملاحظة الآيات يوجـد العلم التجريبى الذى يبتدئ بملاحظة، ثم يثنى به تجربة، ثم يثلث به نظرية، ثم ينتهى إلى حقـيقة علمية تقود مادية الحياة.

❀❀❀

---

(١) سورة الفتح، من الآية : ٢٩.

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلام
للمادة وللروح

إذن، الإسلام جاء للمادة وللروح معا، فمن أراد أن تنهض أمته الإسلامية فعليه أولا أن يثبت الإسلام فى نفوس المسلمين، وأن يجعلهم يزهون بدينهم، ويزهون بإيمانهم، ويعلمهم جميعا أن هذا الدين ليس آفته فى قصور التشريع، ولكنه فى قصور تطبيق هذا التشريع، فإذا ما أرادوا أن تعود لهم عزتهم وسيادتهم وكرامتهم وأن يقودوا العالم من جديد، فعليهم أن يغيروا من أنفسهم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[1] ولنعلم جميعا أن الله لا يتغير من أجلنا، ولكن يجب أن نتغير من أجل الله.



(١) سورة الرعد، من الآية : ١١.

الإسلام
والقوة والمجتمع

لو أن مبادئ السماء تتلقى من الأقوياء، ربما ظن إنسان أن الكلمة فرضتها القوة، ولهذا نجد أن رسول اللهﷺ بدأ منطلقه بدعوته من مكة، ومكة مركز التجمع للسيادة والوجاهة وعلو الكلمة والسيطرة على جميع القبائل فى الجزيرة، ويتبع محمدا ﷺ ضعفاء الناس، وكلمة رسول الله تقال فى أذن هذه السيادة، وفى عين ذلك الجبروت، فلا تطلب مكانا بعيدا عن جاه السيادة لتنطلق، ولكن فى أذن هؤلاء، وفى سمع هؤلاء، وفى مواجهة هؤلاء، ولكن انتصار الإسلام لم يكن فى مكة، فالإسلام بدأت صيحته فى مركز السيادةوتجمع القوة، ولكن لم يشأ الله أن ينتصر من مركز السيادة ومنابع القوة، فانتصر فى المدينة وانطلق، حتى يعلم الناس جميعا، وتردد الدنيا كلها أن العصبية لمحمد لم تخلق الإيمان بمحمد، ولكن الإيمان بمحمد هو الذى خلق العصبية لمحمد.

إذن، فالعصبية تبع للإيمان، وليس الإيمان تبعا للعصبية، وبذلك انطلق مبدأ الإسلام انطلاقا مدويا فى الكون، ليضع للناس مبادئ العدل والحق والمساواة والخير والجمال.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألوان الناس

ونحن حين نستقرئ أوضاع الناس فى الأرض نجد الناس لا يخرجون عن لونين:

١ـ لون عاقل تقنعه الحجة ويقنعه البرهان.

٢ـ ولون جاهل يتمادى فى جهالته نكرانا للإقناع وعدم انصياع للحجة، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(١).

فإذا أراد الله لمبدأ من مبادئ الحق أن يسود، فلابد أن تكون للحق قوة، قوة تقنع بالبرهان وقوة تردع بالسنان.

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا ... فإن لم يغن أغنت عزائمه

***

وما هو إلا الوحى أو حد مرهف ... تقيم ظباه ظلم كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عاقل ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

---

(١) سورة النمل، من الآية : ١٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التربية
في مدرسة النبوة

ولكن من الذى يؤتمن على أن يحمل السيف ليحمى كلمة الحق؟.

لا يؤتمن إلا إنسان له مواصفات خاصة، وهذه المواصفات الخاصة لابد وأن تربى فى مدرسة النبوة وعلى يد الرسالة، عقيدة صلبة قوية لا تلين، وعهد إيمانى يصدق الإنسان فيه، ورباط فى سبيل الله، واستهانة بكل ما فى الدنيا من متع ونعيم وجاه وسلطان لتنتصر كلمة الحق.

ومن القادر على إيجاد هذا اللون ممن يحملون السيف ليحموا العقيدة وليحموا الحق؟ ومن الذى يضمن لنا أن من يحمل السيف لا تطغى به قوته، فينحرف بالقوة إلى حيث لا تراد القوة؟.

لابد أن يربى هذا المرء على عين النبوة، وحين يربى على عين النبوة، يكون إنسانا أمينا على أن يحمل السيف ليستعمله فى موضعه الصدق وموضعه الحق.

وإذا نظرنا إلى تاريخ الرسالات فى الأرض - منذ رحم الله الخلق بإرسال الرسل - وجدنا موكب الرسالات لا يتعدى أن يأتى الرسول بمنهج ربه مؤيدا بالمعجزة التى تؤكد صدقه فى التبليغ عن الله، وليس عليه إلا ذلك، فليس عليه أن يتدخل ليحمل الناس على أن يقولوا كلمة الحق، وليس له أن يتدخل ليفرض قوة على قوة، ولكن السماء هى التى كانت تتدخل، فحين يلج الباطل فى عناده وينصرف الناس عن الحق، هنا تتدخل السماء لتأديب هؤلاء، فكلا أخذنا بذنبه، لذلك نجد قوما أغرقهم الطوفان، ونجد قوما خسفت بهم الأرض، ونجد قوما أهلكوا بريح صرصر عاتية.

هذا هو تأديب السماء، ولم يكن تدخل من جانب الرسل وأتباع الرسل، ليحموا هذه العقيدة بغير الحجة والبرهان والمنطق؛ لأن السماء تحملت عنهم ذلك.

لماذا؟

لأن الإنسانية لم تكن قد بلغت رشـدها، ولأن الدين المستوعب لكل كمالات الوجـود لم يكن قد جـاء بعد، فـالأديان تطورت، ديانة مـحدودة الزمـان وديانة مـحدودة المكان، تأتى لتـصحح جـزئيات الأرض، فـإذا استـعدت الأرض كلهـا وتصححت جزئياتها، أمكن لدعوة عامـة أن تجئ، فتشمل الدنيا كلها زمانا ومكانا وتشريعا مستوعبا لكل أقضية الحياة.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شبهات القتال
في سبيل الله

بعض بنى إسرائيل طلبوا أن يقاتلوا فى سبيل الله، ولكن ذلك الطلب لم يكن خالصا لوجه الله، وإنما كان ـ كما يقولون ـ لأنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم، إذن، ففى ذلك شبهة هى أن الحماسة للقتال لم تكن لله وحده، وإنما كانت للغيرة على الأرض وللغيرة على الأولاد والأبناء.

يضرب الله ذلك المثل فيقول: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾** (١).

أى أنكم تطلبونه الآن، فإذا ما فرض وعرفتم أنه سيمسكم شئ من النصب والتعب، ربما تنصلتم مع أنكم الطالبون.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾(١).

فاستجاب الله لهم وكتب عليهم القتال، فماذا كان الموقف؟ كان الموقف أن **﴿تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾**(١).

إذن فهم ساعة الطلب اللسانى كانوا طالبين للقتال، فلما أصبح القتال حقيقة واقعة تولوا إلا قليلا منهم.

هؤلاء القليلون، هل ثبتوا عند التجربة والاختبار والامتحان؟:

كلا، لما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم، وبعد ذلك أراد الله أن يختبر هذه العزائم، فهذه القلة التى لم تتول جعلها الله أيضا موضع الاختبار.

يقول الحق: إنه ابتلاهم بنهر، فمن شرب منه فليس منى، ومن لم يطعمه فإنه منى، فلما ذهب إلى النهر هؤلاء الذين لم يتولوا عندما كتب القتال، شربوا منه إلا قليلا. إذن، فالقليل أخذ منه القليل.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٤٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد ذلك، القليل الذى لم يشرب حينما واجه العدو قالوا: ﴿ **لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ** ﴾[1].

قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله: اثبتوا؛ فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

هنا نجد مصافى البطولة، ونجد غرابيل القوة والشهامة. لم يستمع الله لهم حين طلبوا القتال، فنبههم إلى أنه إن كتبه عليهم سيتولون، وقد فعلوا فعلا، تلك مصفاة.

جاءت المصفاة الأخرى بالابتلاء، ابتلاهم بالنهر فشربوا إلا قليلا.



(١) سورة البقرة، من الآية : ٢٤٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهل الصمود

وبعد ذلك واجهوا العدو، تلك مصفاة ثالثة، ثبت قليل منهم.

إذن، فلا يمكن أن يعد للقتال إلا إنسان قد مر بمصاف متعددة، تصفى شوائب نفسه وخور عزيمته، وجبن إرادته، حتى لا يبقى لجند الحق إلا هؤلاء، أهل الصمود والمعدن القوى، والعقيدة الصلبة التى لا تلين أبدا.

لذلك مر الإسلام بمراتب من الاختبار، حتى لا يثبت فيها إلا الأقوياء، اضطهدوا فى أبدانهم، واضطهدوا فى أموالهم، واضطهدوا فى أوطانهم، فمن ثبت مع هذه الشدة فهو الذى يصلح لأن يحمل للإسلام سيفه، وهو الذى يصلح لأن يمثل قوة الإسلام.

إذن، فالإسلام إنما جاء - أولا - فى صورة يبتلى بها المؤمنون، ليمحص الله الذين آمنوا، وإذا كنا ننظر إلى المراد من الكون الحق، نجد أن المراد من هذا الكون هو إيجاد الحياة الفاضلة والحياة المثالية.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجتمع
الأمـــن والســـــلام

ماهى عناصر الحياة الفاضلة والحياة المثالية؟

إنه إطعام من جــوع، أى مجتمع كــفاية، وأمن من خوف، أى مجــتمع أمن وسلام.

لذلك حينمــا امتن الله على قريش بأنه أطعــمها مــن جوع، ضمن لهــا بقاء الكعبة وكانت مصدرا اقتصاديا لحــياتهم، حين تفد القبائل والناس فيرزقون منهم، وحين جعل لهم من المهابة ما يأمنون به فى تجارتهم إلى الشام وإلى اليمن.

قال: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾[١].

تلك هى مقومات الحياة، وهذه المقومات هى الدعوة وهى الشعار الذى ينادى به كل مــصلح الآن. إذا نظرت إلى كل مــصلح وجدته يطلب مــجــتمع الكفــاية والأمن.

ولكن، أيحقق البشر للبشر مجتمع كفاية وأمن؟

لا.

لماذا؟

لأن الشعــارات لا تبنى نظما، وإنما تبنى الشعــارات قوما يفــيدون من النظم، فإذا تمكنوا من الإفادة منها أهملوا لب هذه النظم، وجوهر هذه النظم، فيريد الحق - سبحــانه وتعالى - أن يأتى برسالات السمــاء، لتثبت فى الناس مجــتمع الكفاية ومجتمع الأمن.

❀❀❀

(١) سورة قريش، من الآيتان: ٣، ٤.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجتمع الكفاية

ومجتمع الكفاية الذى يوفر للناس مقومات حياتهم: ميادينه مختلفة ومهماته متعددة، تتحقق فيمن يبحث فى الصحة ليضمن السلامة، وفيمن يبحث فى الأرض ليستخرج منها الأقوات، وفيمن يبحث فى المادة ليبتكر منها مرفهات الحياة وميسرات الوجود.

ولكن هب أن كل ذلك وجد، وبعد ذلك وجدت شراسة فى الكون، أو وجدت الشراسة فى ذات القوم، أو وجدت الشراسة من خارج القوم، فسينغص ذلك عليهم مجتمع كفايتهم، إذن، فلابد من جهة أخرى تضمن التوازن، وتحقق الأمن فى داخل الأمة، وتحقق لهم الأمن من مخاوف خارجها.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجتمع الأمن

الأمن فى داخل الأمة المؤمنة يتولاه الوالى بما يأخذ من يد الله من تشريع يبين حدود الله، فمن تعدى هذه الحدود فكسرها، فهناك التجريم وهناك العقوبة.

حين نجد ذلك، نجد أن رسول الله ﷺ قد تسامى فى هذه المسألة تساميا لم يتحقق لأى أمة، ولا لأى حضارة، ولا لأية مدنية.

كيف كان ذلك؟

نجد أن رسول الله ﷺ لم ينشئ سجنا ليؤدب فيه المنحرفين، وإنما أنشأ شيئا آخر، هو أن يسجن الذى أجرم وهو حر فى المجتمع، فهو لا يسجن المجرم، ولكن يسجن كل المجتمع عنه، يعيش بانطلاق حريته، ويعيش بين الناس وهو غريب عنهم، يتحكم فى الناس ولا يتحكم فى الفرد الواحد، فيقول للناس: اعزلوا هذا الذى انحرف عن مجتمعكم.

فحين يصدر رسول الله كلمة تعزل المنحرف عن المجتمع، يستمع المجتمع كله، لا مودة لمنحرف ولا ود لمنحرف ولا سلام لمنحرف ولا كلام معه، ويتسامى فيأتى إلى أهل ذلك المنحرف، أى فى بيته فيأمره هو ألا يقرب أهله.

هذه هى عظمة التشريع حين يتسامى، فلا يعزل المنحرف وحده، إنما يعزل عنه المجتمع، وهو حر فى ذلك المجتمع، هذا كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، تخلفوا جميعا عن غزوة تبوك، وما تخلفوا عن عذر؛ لأنهم كانت لهم قوة يستطيعون بها أن يجدوا الزاد والراحلة والسلاح، ومع ذلك تخلفوا، فلما جاء رسول الله ﷺ أقبلوا إليه معتذرين بصدق، لم يكذبوا ولم يقولوا: لم نجد، بل قالوا: «لم نكن أيسر حالا منا فى ذلك الوقت، ولكنا تخلفنا وتخاذلنا عن غير حاجة». فيقول الرسول لهم: **«انصرفوا حتى ينزل الله فيكم حكمه»** ولكنه أمر الناس ألا يكلموهم، فلم يكلمهم أحد، وتسامى الأمر فعزل

كل واحد عن أهله. تلك قوة الكلمة حين تعزل الرجل عن أهله، ولا رقيب فى البيت بين الرجل وأهله.

ويتسامى التشريع الحاكم مع المنحرف، إلى ألا يجعل الرسول ﷺ يحكم على المنحرف بعقوبة، بل يجعل المنحرف نفسه فى عقوبة على جريمة بينه وبين ربه يقر بها، ثم يحكم على نفسه الحكم، فهذا «أبو لبابة»، تبدر منه بادرة يشير بها إلى اليهود: أنكم إن قبلتم عهد رسول اللـه، فإنه القتل. فلما قالها، قال: «والله لقد علمت حين قلت ذلك أننى خنت الله وخنت رسوله».

لم يطلع عليه أحد فى ذلك الوقت، ولكنه عرف ما كان من جريمة نفسه، فماذا صنع ولم يطلع عليه أحد لتقوم عليه الدعوى؟.

إنه ذهب إلى سارية المسجد، فلما ذهب إلى سارية المسجد فوجئ به صحابة رسول الله مربوطا فى السارية، فيسأل: لماذا؟.

يقول: أذنبت ذنبا، هذا الذنب هو كذا وكذا، ولم يعلم به أحد، ولا يكفر عن ذنبى إلا أن أربط نفسى إلى سارية المسجد، أى إلى عمود فى المسجد، فكان إذا ما جاءت الصلاة يحل نفسه ويصلى، ثم يعود فيربط نفسه «والله لا أفك نفسى ولا أحلها حتى يفكنى رسول الله ﷺ ».

ذلك شئ رائع!! أن يذنب الإنسان فى فترة من فترات الضعف ذنبا ولايراه أحد، ومع ذلك يعاقب نفسه ويفضح نفسه أمام الناس الذين لم يروه، ويقول: «لا أحل نفسى حتى يحلنى رسول الله ﷺ».

تلك هى التربية الإيمانية التى تربى الناس ليضمن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ للناس أمن داخلهم.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمن الخارجي

ولكن أكل خوف الناس يأتى من الداخل؟

لا، إن الخوف الأشرس والأشد هو الذى يأتى من الخارج.

لماذا؟

لأن الانحراف الداخلى من المؤمنين يكون بغفلة نفس ربما تؤوب فترجع فتتوب، ولكن الخوف حين يفد من خارج يكون من عدو.

إذن، فوجب أن تكون فى الأمة قوة، وهذه القوة لتصون أمن الناس فى الداخل، وتصون على المؤمنين أمنهم من خوف خارج، فوجب أن تكون للمؤمنين قوة، هذه القوة لم تكن قوة محددة، بل كل فرد فى الإسلام كان معدا لهذه القوة، بحيث إذا جاء النفير لأى لون من ألوان الجهاد، وجد كل واحد صالحا لأن يحمل سلاحه، وأن يخوض المعركة مستعدا لذلك.

ولذلك يأتى النص ليقول: «**خيركم رجل ممسك بعنان فرسه، كلما سمع هيعة طار إليها**» [١].

إذن، فهنا قوتان:

قوة تحمى الأمن الداخلى من الانحرافات الجزئية.

وقوة تحمى الأمن من عدو خارجي.

وهؤلاء الخارجون هم أعداء الإسلام.



(١) رواه مسلم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حماية القيم

إذن، فالقوى لم تنشأ إلا لحماية القيم، فحين تكون القيم منهارة، فلا معنى لوجود قوة؛ لأن القوة فى الإسلام لم تجئ لحماية الأرض فقط، وإنما جاءت لتحمى الأرض التى تحمل هذه القيم، إذن، فالقيم هى الأساس المقصود بالحماية فحين تتخلى أمة فى الأرض عن قيمها، فما الذى يحمى فيها؟

لا يحمى شئ.

لماذا؟

لأن الأرض إنما روحها القيم، فإذا ما ذهبت القيم فالأرض شئ هباء بعد ذلك.

كذلك القيم الإيمانية، تحمى الإنسان وتعطيه مناعة ضد أن يغزوه عدو خارجى.

لماذا يخاف أن يغزوه عدو خارجى؟

لأنه يخاف أن يفتن فى القيم، يخاف أن يفتن فى الدين.

إذن، فخوفنا من أن يغزونا عدو خارجى لم ينشأ إلا لأننا نخاف على قيمنا من أن نفتن فيها.

ولذلك كان المطلوب منا ألا ندخر القوة لوقت الحاجة.

لماذا؟

لأننا إذا ادخرنا القوة لوقت الحاجة ربما عاجلنا عدونا على غير عدة على غير استعداد فيصيب منا غرة.

لذلك طلب الحق ـ تعالى ـ من المؤمنين أن يحتاطوا لهذا الأمر احتياطا قويا، فيقول: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم**﴾[1] والإعداد يكون قبل ولوج المعارك.

---

(١) سورة الأنفال، من الآية : ٦٠.

و «مـا استطعـتم» تدل على أن كل إمكانيـات الأمة وكل مـواهبهـا يجب أن تتعـاون وأن تتكاتف على أن ترد العـدو الخارجى إن حدث نفـسه بخـرق حدودنا الإيمانية أو القيـم الإسلامية، و «ما اسـتطعتم» هذه تعطى العذر للمؤمنـين حينما تكون إمكانيـاتهم ضعـيفة يـجب ألا يقفـوا ويقولوا: إمكانيـات عدونا أكـبر من إمكانياتنا.

لماذا؟

لأن الله طلب منا أن نعـد ما استطعنا، وحين نعـد ما استـطعنا فى إخلاص للاستطاعـة بدون كسل، وبدون تهاون، فـإن على الله أن يقوى هذه الاسـتطاعة تقوية تجعل الجـيش القليل فى العدد، أو القليل فى المعدات، يغلب الجـيش الكثير فى العدد، والقوى فى المعدات.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله مع المجاهدين

ولذلك يعلمنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ألا نخور؛ لأن قوانا أقل من قوى عدونا.

لماذا؟

لأنكم لا تدخلون المعارك وحدكم، وإنما تدخلون بربكم يحميكم وبربكم يعينكم.

كيف يقول الحق ذلك؟

يقول: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حين يريد أن ينصركم على عدو كثير العدد قوى المعدات فلا تستعجبوا ذلك.

لماذا؟

لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيلقى فى قلوب عدونا الرعب، ومتى ألقى الحق فى قلوب عدونا الرعب فلن ينفعه عدده، ولن تنفعه معداته، وحين يلقى فى قلب العدو الرعب ويتراجع ولو شبرا واحدا، يقوى الجندى المؤمن، ويكون كل عتاد العدو القوى للمؤمنين الضعفاء.

إذن، فالحق يطلب منا دائما أن نعد ما استطعنا، وأن نكمل تلك الاستطاعة بيقين قوى فى الله؛ ولذلك يضرب لنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ المثل فى ذلك.

فماذا يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1].

فإذا نظرت إلى النسبة بين عشرين وبين مائتين وجدت نسبة واحد إلى عشرة، أى أن المؤمن الواحد بقوة الله له لابد أن يقاوم عشرة، فإذا نزلت النسبة عن ذلك

---

(١) سورة الأنفال، من الآية : ٦٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو ناشئ عــن ضعف قوة اليقين وقوة الإيمــان، بدليل أن الله لم يحافظ لنا على هذه النسبــة لعلمه بأن قــوتنا قد تضعف، فــبعد أن كــانت النسبــة من واحد إلى عشرة، قال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾(١).

إذن، فالمسألة انتقلت من «واحد إلى عشرة» إلى «واحد إلى اثنين».

فما الذى خفض هذه النسبة؟

إنه كلمة (الضعف) الضعف فى اليقين، والضعف فى الإيمان.

إذن، فإذا هزمت قوة مــؤمنة أمام قوة كافرة دون هذه النــسبة، فنعلم أن ذلك ناشئ من ضعف إيماننا؛ ولذلك يضرب الله مثلا ثانيا، فيقول: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾(٢).



(١) سورة الأنفال، من الآية : ٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان : ١٢٤ ، ١٢٥.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإيمان ومعونة الله

إذن فعلى مقدار تقواكم وعلى مقدار صبركم وعلى مقدار إيمانكم، وعلى مقدار صدقكم العهد مع الله فى الصفقة التى عقدها، تكون معونة الله لكم.

إذن، فالمؤمن القوى هو الذى يقدر أن يحدد مقدار معونة الله له، فإن أرادها معونة قوية فليقبل بتقوى قوية، وإن أرادها معونة قوية فليقبل بإيمان قوى؛ لأن القوة العددية حين تلقى القوة الإيمانية لا يمكن أن تثبت معها أبدا.

ولذلك نجد أن الحرب الإسلامية الإيمانية ابتدأت فى بدر، وحينما ابتدأت فى بدر ماذا كان عدد المسلمين؟ وماذا كانت عدتهم؟ وماذا كان عدد المعسكر المقابل وهم الكافرون؟.

ألف أمام ثلاثمائة وكذا، وعدد كثير أمام عدد قليل، وعدد متوافرة أمام عدد قليلة، ولكن الله أراد أن يستهل معركة الإيمان الأولى استهلالا يثبت الإيمان فى نفوس المسلمين، وهو أنهم يجب ألا يستقلوا قوتهم؛ لأنهم غيرمعزولين عن الله، وإنما موصولون بالله.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحق والباطل

وبعد ذلك يأتى واقع المعركة الذى يحقق مبادئ يجب أن نتنبه إليها.

فما هى هذه المبادئ؟

مثلا: أبو بكر كان فى صف رسول الله، وابنه قبل أن يسلم كان فى صف الكفار، وبعد ذلك يؤمن، وبعد أن آمن يقول: يا أبت لقد لقيتك يوم بدر فلويت وجهى عنك. أى أنه يقول: كان من الممكن أن أقتلك، ولكنى صرفت وجهى عنك، فيقول له أبوه أبو بكر: أما والله لو رأيتك فى المعركة لقتلتك.

موقفان:

١- موقف يمثل الحق لا يجامل.

٢- وموقف يمثل الباطل حين يلقى الحق فيتخاذل.

كلام أبى بكر ﷺ منطقى مع عقيدته، وكلام ابنه منطقى - أيضا - مع عقيدته؛ لأن ابن أبى بكر حين يلقى أباه، أبوه له حق الأبوة عنده، وهو ليس على دين حق يغار عليه، فحين يقارن: يقارن بين حق أبيه وحق ماذا؟ لو كان مؤمنا بأن عقيدته التى يقاتل عليها عقيدة حقة لهان أبوه فى نظره، ولكنه حينما قارن حق أبيه لم يجد حقا مقابلا ليقارنه به، بل وجد باطلا، فوجد حق أبيه أفضل من لا حق يقف هو فى صفه، وأبو بكر ﷺ كان - أيضا - منطقيا مع عقيدته؛ لأنه مع الحق الإيمانى، وابنه لا يغنى عنه من الله شيئا، إذن فقد قارن بين حق لابنه وحق لربه، فآثر أن يكون مع حق الرب، وإن كان ذلك على حق الابن، فقال: لو تراءيت لى فى المعركة لقتلتك!.

تلك هى العقيدة الإيمانية حين تقاتل لكلمة الله، فيجب ألا يستقر فى الذهن أبدا إلا كلمة الله، ولا أنساب ولا أحساب ولا صلات؛ لأن صلة الإنسان بربه أولى من صلته بمن خلق الله.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأيضا نجد ـ مثلا ـ مصعب بن عمير، كان له أخ اسمه أبو عزيز، ومصعب وأبو عزيز كانا مدللين فى قريش، لأبويهما غنى ولهما فى ذلك الغنى ترف، ولكن مصعبا ﷺ أشرب قلبه حب الإيمان فآمن وهاجر وعاش فى عيشة فقر وفاقة، حتى أن رسول الله ﷺ يراه وهو فى المدينة يلبس جلد ماعز ليستر به عورته، فيقول: « **انظروا إلى هذا الرجل، كيف فعل به الإيمان، والله لقد رأيته وما فى مكة فتى أعز منه، ولكن هكذا صنع به الإيمان** ».

يلتقى مصعب بن عمير بأخيه أبى عزيز، وأبو عزيز كان لا يزال فى صف الكافرين، وبعد ذلك يأسره أنصارى يقال له أبو اليسر، فيمر مصعب على أخيه وهو فى قبضة أبى اليسر الأنصارى، فيقول لأبى اليسر: «اشدد يدك على أسيرك، فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير» فيقول له أخوه أبو عزيز: «أهذه وصاتك بأخيك يا مصعب؟.». فيقول له: «هذا أخى دونك».

إذن، فحسب الإيمان ونسبه هو الحسب الذى يجب أن يعتد به، ويتسامى ترجيح ذلك النسب على النفس ذاتها، ومعنى النفس ذاتها أن يجود الإنسان بنفسه، ويعتبرها رخيصة أمام الصفقة التى ينتظرها؛ لأن الصفقة مربحة.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البائع والمشترى والثمن

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(١) .

فالمشترى الله، والمشترى نفوس المؤمنين، والثمن الجنة. وما غاية الإنسان إلا أن يعيش سعيدا ممتعا، فإذا ما كان الثمن الجنة فليتعجلها، كما تعجلها الصحابى الذى قال لرسول الله: «أليس بينى وبين الجنة إلا أن أذهب إلى هؤلاء أقاتلهم فيقتلوننى؟ ». قال: «نعم».

وكانت فى فمه تمرات، فاستبطأ أن يظل حيا إلى أن يمضغ هذه التمرات وألقى بالتمرات خارجه، وخاض المعركة فقتل.

وأيضا جمال الصفقة وإغراؤها يجعل المعذور فى الإسلام عن الجهاد يتطوع هو بالجهاد.

هذا هو عمرو بن الجموح، رجل عذره الله لأنه أعرج، فيقول لأبنائه: لابد أن أشهد المعركة، فيقولون له: «يا أبانا نحن نكفيك المعركة» فيقول: «لا، ولابد أن أشهد المعركة» فيصر أبناؤه عليه لمنعه، فيذهب إلى رسول الله فيقول له: « يا رسول الله: إن أبنائى يمنعوننى أن أخوض المعركة» فيقول له رسول الله: «إن الله قد عذرك»، أى لأنه ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج، فيقول له: «والله يا رسول الله، إنى أحب أن أطأ بعرجتى هذه الجنة ». فيبتسم رسول الله، ويطلب من أبنائه أن يسمحوا له.

فهذا رجل معذور بحكم الإسلام والشرع، ومع ذلك استطاب الصفقة، فأحب أن ينتهز هذه الصفقة ليأخذها.

لماذا؟

---

(١) سورة التوبة، من الآية : ١١١.

لأنه عاقل، هو سيموت حارب أم لم يحارب، فالموت لن يترك أحدا، فلماذا لا يموت بثمن غال؟ ولماذا لا يموت بصفقة رابحة تجعله هو ميتا فى نظر الناس، ولكنه حى إلى أن تقوم الساعة، حى يرزق؟.

فأى عقلاء هؤلاء؟ هم الذين يوازنون فى الصفقات، ويستهينون بهذه الحياة وبزخارفها، حين يعيش المؤمن فى جو عقائدى، وحين يتأكد أن الذى عقد الصفقة معه هو ربه الذى يصدق وعده يجب عليه أن يتهافت على هذا الأمر، ويجب عليه ألا يدخر وسعه، وأن يعتقد أنه سيموت، شهد معركة أم لم يشهد.

❊❊❊

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشجاع والجبان

كلنا نحب نفوسنا، الجبان يحب نفسه، فهو لذلك يحمى نفسه من الموت والشجاع أيضا يحب نفسه، فهو لذلك يحب حسن الأحدوثة عنه فى الآخرة، يحب الجزاء؛ لأنه يطمع فى الصفقة الرابحة، ولذلك يقول شاعرنا العربى :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبّاً

فحب الجبان النفس أورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

كل واحد يحب نفسه، ولكن الفرق بين الحبين: أن هناك حبا سطحيا، حبا نازلا، يحب الخير العاجل ويصرف نفسه عن الخير الآجل مهما سما وارتفع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لماذا انتشر
الإسلام بالسيف

إذن فقضية القوة فى الإسلام قضية موضوعة لمهمة، إلا أننا فى آخر عهدنا قد وجهنا المهمة وجهة أخرى، هذه الوجهة هى ما أراد أعداؤنا أن يقنعونا بها، قالوا: إن الإسلام انتشر بالسيف، فـأحب المسلمون أن يردوا على ذلك، فقالوا: لا، إن الإسلام لم ينتشر بالسيف، والسيف لم يستعمل فى الإسلام إلا دفاعا عن النفس، وبعد ذلك جاء المسلمون وأعجبتهم تلك الفكرة من أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، ولكنهم ما فطنوا إلى خبث هذه الدعوة.

خبث هذه الدعوة نشأ من ماذا؟.

نشـأ من خـوف خـصوم الإسـلام أن يحـقق الإسـلام المراد من وجـوده فى الأرض، الإسلام وجـوده فى الأرض ليظهـر على الدين كله، ومعنى: « ليظهـر على الدين كله »: أن مهمته إثبات الرشد للإنسانية كلها، هم يريدون للإسلام أن يكتفى بالبقعة التى هو فيها، ولا يفكر تفكيـرا طموحيا فى أن ينساح ليجعل كلمة الله هى العليا، فيقولون: الإسلام جاء للدفاع فقط، ومادام جاء للدفاع فقط فليس له أن يتعدى سائر حدوده.

تلك كلمة براقة، تبرئ الإسلام من أنه انتشر بالسيف، ولكنها تعوق الإسلام عن مده الذى أراده الله له؛ لأن الإسـلام ما جاء لينشئ أمـة واحدة فى الأرض، وإنما جاء ليعمم عـدالة السماء فى الأرض كلها، ولكنه لا يفرضـها فرضا. إذن، فما دام لا يفرضها فرضا، فماذا يكون الموقف؟.

إنه إن فرضـها فـرضا بقـوته ـ إن كان يملك قـوة الفرض للعـقائد ـ فـإنه قد استولى عـلى القوالب، والإسلام لا يريد أن يستـولى على قوالب، وإنما يريد أن يستولى على قلوب؛ لأن الاستيـلاء على القوالب يحكم ظاهر الأشياء، ولكنه لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحكم خفـيات الأشيـاء، فقصـارى أن تملك القالب والشكل أن صـاحب القالب والشكل يحـاول ألا تراه منحـرفا عن منهج الحـق، فإذا مـا خلا له الجـو، أو إذا استطاع أن يستتر بجرمه فإنه يفعله.

لماذا؟

لأنك لـم تملك قلبـه، وإنما ملكت قالبـه. إذن فقـالبه هو مـوضوع الحـساب والجزاء.

لذلك وضع الحق مبدأ فى انسياح الإسلام، فقال: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾(1).

ما دام لا إكراه فى الدين، فكيف تريد أن يمتد الإسلام إلى رقع أوسع؟.

نقـول: إن الذى يمنع منطق عـدالة الإسـلام هو قوى الطـغيـان فى الأرض، فالإسلام حـين ينشر مبادئه ويجـد قوة من قوى الطغيـان تحاول أن ترد المسلم عن قول دعوته وعن الدعـوة إلى الله، فلنا أن نقف أمام هذه القوة، وأن ندكـها دكا. وبعد ذلـك نترك الناس أحـرارا ليروا رأيهم بحـرية وبمحض اختـيار، فـلا فرض لعقـيدة، ولذلك نجـد الإسلام حـينما فـتح من البلاد، أَحَـمَلَ كل أهله على أن يسلموا؟ أم ظل فيهم من ظل على دينهم؟.

فلو أن الإسلام جاء لينشر بالسيف فإن معنى ذلك: أن كل بلد فتحه الإسلام كان ولابد أن يسلم أهـله، ولكننا نجد كثـيرا من البلاد المفـتوحة ظـل أهلها على دينهم، ولا حرج عليهم.

إذن، فماذا فعل الإسلام؟



(1) سورة البقرة، من الآية : ٢٥٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيف والحرية

أزاح الإسلام قوى الطغيان التى تفرض على الناس دينا، فإذا ما أزاحها ترك الناس أحرارا، يختارون ما يشاءون من الأديان، وحينئذ يكون إقبالهم على الإسلام بطواعية؛ لأن الذى يقبل على مبدأ من مبادئ الإسلام بإكراه سيظل فى نفسه ترة على ذلك الدين الذى قهر إرادته، وما دام هناك ترة على ذلك الدين فلن يخلص له أبدا، وما دام لا يخلص له أبدا فإن المسلمين لم يزدادوا شيئا، وإنما ازدادوا مخذلا، والمسلمون إنما يريدون أن يزدادوا جواهر عاملة وعناصر فعالة.

إذن، يجب على المسلمين فى جميع بقاع الأرض أن يتنبهوا إلى أن قواتهم التى يعدونها ـ هى الآن ـ لتدفع فقط عنا العدو أن يغزونا فى دارنا، وأظن أننا حين نقول: لتدفع ـ فقط ـ نكون قد وصلنا إلى منطقة من الضعف يرثى لها، فبدلا من أن نكون مطالبين بأن ننساح بإسلامنا خارج حدودنا، إذا بنا نهاجم فى ديارنا، وتدخل علينا أرضنا عنوة.

إذن، فذلك هوان، ولابد أن نبحث فى أسباب ذلك الهوان.

لماذا؟

لا أقول نتمدد، ولكن أقول لا نتقوقع أكثر من ذلك، لابد أن تكون هناك خلفيات وراء هذا الانحسار الإسلامى، وهذه الخلفيات أن المسلمين فى أممهم أصبحوا صورة غير مشرفة للإسلام فى ذاتهم، اكتفوا من الإسلام بأن يأخذوا أسماء المسلمين، ولكنهم لم يحققوا فى ذواتهم مفهوم المسلمين أنفسهم.

ما الذى حدث بعد ذلك؟.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاملان وراء اندفاع الإسلام

حدث بعد ذلك أن هان موقعهم في نظر خصومهم، فاجترأوا عليهم، ولو أنهم رجعوا قليلا إلى تاريخهم لوجدوا أنهم جاءوا بالإسلام إلى أمم جذبت هى الإسلام إليها، فكان الإسلام مندفعا بعاملين:

العامل الأول: عامل الاندفاع من القوة الإيمانية أن تنشر دين الله.

العامل الثانى: عامل الجذب من القوى المخالفة التى تريد أن تنتفع بما فى الإسلام من مبادئ سامية وعدالة.

فإذا كان المسلمون أنفسهم اليوم قد وصلوا إلى موضع من الهوان فى حياتهم وفى تخلفهم، فما الذى يغرى غير المسلمين بأن ينظروا إلى ذلك الإسلام كدين يرتفع بهم إلى مناط مجتمعات الأمن والكفاية والعدل؟! لم يجدوا من حال المسلمين اليوم ما يشجعهم على هذه النظرة، ولكنهم وجدوا عكس ذلك، فلو أن الإسلام فى ذاته صالح لأن ينشئ أمة متحضرة متدينة، أمة راقية يشيع فيها الأمن والخير والجمال لالتفت الناس إليها، وبحث الناس ـ هم أنفسهم ـ عن سر تقدم هذه الأمة وأمنها ورفاهتها واستقرارها، فيقال لهم: إنه الإسلام، وسيبحث الناس فى دين الإسلام، ويقبلون علينا لأن واقعنا الإشراقى يغريهم بذلك.

أما ما الذى يغرى غير المسلمين اليوم بأن ينظروا إلينا كمثل يحتذونها فى تقدمهم ونهوضهم وسلامة مجتمعاتهم وأمنهم؟ لا شئ من ذلك أبدا.

ومن العجيب: أننا بعد أن كنا مطالبين أن نعدى الإسلام إلى غير أرضنا وإلى غير بلادنا، أصبحت أرضنا تقتطع وذلك هو الهوان، ومن العجيب أيضا: أننا وقد طلب منا أن نصهر ذاتيات الأمم المختلفة فى ذاتية إسلامنا، أن تجترئ قوى الباطل وأمم الفساد والشر على أن تذيبنا نحن فى ذاتيتهم، وهكذا صار الهوان بالمسلمين اليوم، فكان لا أقل من أن نحتفظ بذاتيتنا، لا أقول ننتقل بذاتيتنا إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغير لنصهرهم فيها، ولكننا لا أقل من أن نحتفظ بذاتيتنا، فكأننا انحدرنا انحدارين:

١ـ انحدار لم نقو به على أن ننساح بكلمة الله لننشر النور فى الأرض.

٢ـ أننا لم نقو على أن نحتفظ بذلك الخير لذاتيتنا.

فحين نرى الآن أمة الإسلام تتنبه إلى واقعها، وتلتفت إلى تاريخها الماضى وهى حين تعرف ذاتيتها الماضية تعرف أن لها واقعا، وهذا الواقع أرغم الدنيا كلها، ومن لم يدخل فى دينها طواعية دخل فيه قهرا عنه، أو على الأقل ظل سلبيا بالنسبة لها لا يقاوم تيارها، فإذا كنا كذلك والخير بين أيدينا، ومحفوظ فى كتاب الله، ومحفوظ فى سنة رسول الله، حين نلتفت إلى هذه الذاتية تكون أول بوادر الخير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بوادر الخير

نحن الآن نعيش هذه البوادر، لأننا ـ والحمد لله ـ نرى شبابا مقبلا على دينه، ونرى اتجاها قد يئس من كل مبادئ الانحراف وزهد فيها، واتجه إلى أن يعرف الحق، واتجه إلى أن يعرف الخير، وما دام الإنسان يشخص نفسه أولا، ولا يغالط ولا يغالب الحقائق، ويعتقد أنه مريض، ويعرف كيف يشخص داءه، ثم يلتفت إلى المعنى الذى يقويه، كما نشهده اليوم، حينئذ تكون بوادر الخير، وما دامت بوادر الخير مقبلة، وجب علينا أن نتخلى ثم نتحلى.

ومعنى «نتخلى»: أن نقف وقفة واحدة صمودية، شعوبا وحكاما، وقفة كالصف الواحد حتى ننهى أن يتدخل عدو لنا فى أرضنا، فحينئذ نكون تخلينا ـ أولا ـ عن العار، وبعد ذلك نمكن لمبادئ الإسلام فى نفوسنا وفى أسرنا، وفى ذواتنا، وفى كل محيطنا، وحين نتنبه إلى ذلك يكون من الممكن ـ بعد ذلك ـ أن ننساح بالإسلام انسياحا خارج حدودنا؛ لنذيق الدنيا كلها حلاوة ذلك الإيمان، **﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾**(1).



(1) سورة محمد، من الآية : ٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القوة المادية

ليست كل شئ

ولكن على المسلمين أن يتنبهوا إلى أن القوة المادية ليست هى كل شئ، فما لم تحمها قوة روحية، مستكينة لله ومعترفة بفضل الله بلا غرور ولا زهو، حينئذ تكون القوة المادية مسنودة بالقوة الإيمانية والروحية، وذلك لا يتأتى إلا باتحاد الصف وبوحدة الكلمة.

وإذا استقرأنا واقعنا الحديث، وجدنا أننا هزمنا مرة، ووجدنا مرة أخرى بوادر نصر، هذه بوادر النصر جاءت على قدر إقبالنا على الله ببعض الشعارات، أقبلنا باسم الله وأقبلنا بـ «الله أكبر» شعارات، وإن كانت لم تأخذ موقعها من الواقع، ولم تتغلغل فى حياة الناس، إلا أن الله أعطانا بعض النصر على مقدار هذه الشعارات، فلو أننا نقلنا هذه الشعارات إلى واقع، يتمثل تطبيقا لمبادئ الإسلام، وتطبيقا لمنهج الإسلام، لأعطانا الله على قدر إقبالنا عليه.

ويجب أن نعلم أننا لن نكون كذلك إلا إذا وضعنا منهج الله أمامنا، وعملنا بما يقول، وانتهينا عما ينهانا، وكنا أمة واحدة وصفا واحدا، وحينذاك نستحق أن نكون جند الله، وما دمنا جند الله فإن الله يقولها كلمة صادقة؛ لأن الله هو الذى يقولها: ﴿ **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[1] .

❀ ❀ ❀

(١) سورة الصافات، الآية : ١٧٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجندية لله وحده

فإذا ما رأيتم معركة بين المسلمين وبين غيرهم انهزم فيها المسلمون فإن عنصرا من عناصر جنديتنا قد تخلف، انصروا الجندية لله، وبغير ذلك لن نكون من الغالبين، فلا تقل: إننى دخلت المعركة وأنا جندى لله، ومع ذلك انهزمت، نقول له: لا، إن ربك يقول: ﴿ **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[1]، وما دمنا لم نغلب فلابد أن تكون هناك شروط لجنديتنا لله قد تخلفت، وذلك مثل قد ضربه الله فى حياة الرسول ﷺ أى وهو بين صحابته، ماذا كان؟

«موقعة أحد» التى حدثت ولم يمر عام على انتصار المسلمين فى بدر، أنحن من الهوان على الله أن ينصرنا فى بدر، ثم لا يمر عام وبعد ذلك تأتى معركة أحد فنهزم؟ إن كنا قد انهزمنا، أو أن المعركة قد انساحت ولم نعرف لها نتيجة، أهزمنا أم غنمنا؟ على كل حال لم ننتصر النصر المرجو.

ماذا كان الموقف؟.

أراد الله أن يجعله درسا يتلقاه المسلمون وبين أيديهم رسولهم، الرسول أمر أمرا، وبعد ذلك خولف ذلك الأمر، فلو أن المسلمين انتصروا فى هذه المعركة مع مخالفتهم أمر رسول الله، سيقولون: لقد خالفنا أوامر الرسول وانتصرنا، ولكن ماداموا قد خالفوا الأوامر فلينهزموا حتى يتربى المسلمون، ويبقى الإسلام سويا صحيحا، صحيح أن المسلمين ـ أى المتخاذلين ـ انهزموا، ولكن الإسلام بمبادئه وبقيمه وبأمر مشرعه ﷺ قد انتصر.



(١) سورة الصافات، الآية : ١٧٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهزيمة:

مخالفة لجندية الله

إذن، فكل هزيمة لها عنصر من مخالفة لجندية الله، نفتش فى أنفسنا فنجد هذه المخالفة واضحة.

وأيضا يدعونا الإسلام ومبدأ الإيمان أن نذكر الله دائما مع إعدادنا لكل قوة، وألا نغتر بقوة.

وذلك مثل ـ أيضا ـ ضربه الله للمسلمين فى حنين:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾(١).

إذن فالكثرة لا تغنى شيئا إن تخلى عنا نصر الله، ويجب ألا نزهو بالكثرة، ويجب أن نحاسب أنفسنا بعد كل معركة؛ لنعرف حصيلتنا الإيمانية، والله يضرب لنا المثل فى ذلك، فيقول:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾(٢).

أصابتهم هزيمة، هل ضعفوا؟ هل استكانوا؟

لا، ولكنهم بحثوا فى أسباب هذه الهزيمة، ولماذا أصيبوا فى تلك المعركة تلك الإصابة؟ فكروا وحللوا ليعرفوا موقع الضعف منهم فى مخالفة بند من بنود الجندية لله، وما كان منهم إلا أن قالوا:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾(٣).

فكأنهم علموا جيدا أن سبب الهزيمة هو ارتكاب الذنوب: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾(٣) غرورا وكلاما وشعارات بلا رصيد.

---

(١) سورة التوبة، من الآية : ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، من الآية : ١٤٦ .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية ١٤٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ **وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[1] إذن هم عادوا إلى نفوسهم؛ ولم يعودوا إلى ربهم ليقولوا له: إننا مؤمنون بك فكيف هزمنا؟! بل عادوا إلى نفوسهم؛ لأنهم هم الذين أخلوا بشرط الإيمان في نفوسهم.

وما كان قولهم بعد أن أصابهم ما أصابهم؟ ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[2].

فماذا كان جواب الله لهم؟..

حينما أقروا بأنهم هزموا وأصيبوا؛ لأنهم أسرفوا على نفوسهم، ولأنهم ارتكبوا ذنوبا، يكون المريض قد اعترف بدائه، ولم يحاول أن يغالط طبيبه، فإن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ** ﴾[3].

وما دام ربهم قد استجاب لهم فيكون هذا من لون الإحسان؛ لأن معنى الإحسان: ليس ألا تخطئ، ولكن إذا أخطأت فلتتنبه إلى خطئك.

وما كان قولهم إلا قالوا: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾[2]، ﴿ **فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا** ﴾[4] أي نصرا على الكافرين، ﴿ **وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[4].

فحين نريد أن نعرض موقفنا اليوم عرضا إيمانيا يجب علينا ـ حين نصاب بنكسة أو نصاب بهزيمة ـ ألا نقول: نحن مؤمنون فلماذا هزمنا؟ بل نقول: إن شرطا إيمانيا قد اختلف فينا، وأن عنصرا لجندية الله قد اختل فينا، فإذا تنبهنا إليه ورجعنا فإن الله يقبل التوبة ويقبل الرجوع، ويأتي في بقية المناسبات بما يثبت ذلك: ﴿ **وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[5].

(١، ٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٧.
(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٩٥.
(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٨.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يربط على قلوبنا، وأن يوحد كلمتنا، وأن يرد ساستنا إلى منطق الحق والصواب، وأن يجعل كل غيرة وكل إعداد فى حسابها كلمة الله لتكون هى العليا.



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥	* ألوان الناس	٥٦
* الإسلام والفكر المعاصر	٧	* التربية فى مدرسة النبوة	٥٧
الإسلام	٧	* شبهات القتال فى سبيل الله	٥٩
* الإنسان وباقى الأجناس	٩	* أهل الصمود	٦١
وقفة عقلية	١٠	* مجتمع الأمن والسلام	٦٢
التعقل والتصور	١٢	مجتمع الكفاية	٦٣
* الرصيد الإيمانى ضرورة للإنسان	١٥	مجتمع الأمن	٦٤
* إعلاء الغريزة فى الإسلام	١٨	الأمن الخارجى	٦٦
* اسم الله على كل الألسنة	٢٣	حماية القيم	٦٧
* لماذا الإيمان ضرورة عقلية	٢٤	* الله مع المجاهدين	٦٩
* العلم تثبيت للإيمان	٢٦	* الإيمان وعونة الله	٧١
* قمة العبودية لله	٢٧	* الحق والباطل	٧٢
الفكر	٢٨	* البائع والمشترى والثمن	٧٤
* المحسن والمسئ	٣٠	* الشجاع والجبان	٧٦
* الطعام والماء والهواء	٣٦	* لماذا انتشر الإيمان بالسيف	٧٧
* التساوى فى العبودية	٤١	السيف والحرية	٧٩
* الشيوعية رد فعل الرأسمالية	٤٦	* عاملان وراء اندفاع الإسلام	٨٠
* حركة الحياة وقوة الخالق	٤٨	* بوادر الخير	٨٢
* احترام قضية الإيمان	٤٩	* القوة المادية ليست كل شئ	٨٣
* الإسلام والأديان السابقة		* الجندية لله وحده	٨٤
* الإسلام للمادة والروح	٥٤	* الهزيمة مخالفة لجندية الله	٨٥
* الإسلام والقوة والمجتمع	٥٥	* الفهرس	٨٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA مكتبة الإسكندرية

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



المجموعة النادرة

الشيخ

محمد متولى الشعراوى

